أحمد شوقي

شاعر الوطنية الأكبر

١٨٧٠ -١٩٣٢

بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان شوقي وحافظ، فلقد حملا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث، وتغنيا بالوطنية، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر والشرق صداها في شعرهما، وكلاهما كان له أثر وفضله في تغذية الحركة الوطنية بعيون الشعر الوطني، سطع نجمهما في عصر واحد، وغردا في جيل واحد، وانتقلا إلى جوار ربهما في عام واحد (١٩٣٢) ولم تمض على وفاة حافظ ثلاثة أشهر حتى لحق به شوقي في الرفيق الأعلى.

سمي شوقي أمير الشعراء، ولقب الأمير لم يعد يتفق والروح الديمقراطية، ولم تعد الأمارة تضفي على صاحبها منزلة محترمة، هذا إلى أن شوقي أكبر من أن يمجد بهذا اللقب، فهل نسميه (سيد الشراء)؟ إن كلمة السيادة لغير الأمة تعد أيضاً تتفق والأوضاع الديمقراطية، فهل نسميه (زعيم الشعراء)؟ إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره، ولم يكن ينازعه الشعر أحد من أنداده ومعاصريه، فلقد عقدوا له لواء الزعامة وبايعوه عليها في المهرجان الذي أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع أقطاب الشعراء من العالم العربي وخاطبه فيه صنوه حافظ بقوله:

أميـــر القـــوافي قـــد أتيـــت مبايعـــا وهـذي وفـود الشـعر قـد بايعـت معـي

على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفي للتعريف به والتنويه بمكانته، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه في هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر)

ولد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠ [١] وتعلم في المدارس النظامية، ودخل مدرسة الإدارة (الحقوق)، في أوائل عهد الاحتلال، وفي سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣.

أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شاب مهذب مثقف، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد، وإذ كانت عبقريته الشعرية في خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه، فقد اقترنت بشعوره الوطني الذي تولد في نفسه بالفطرة، وزاده توهجاً ورسوخاً رؤيته الاحتلال الأجنبي يجثم على صدر البلاد، فامتزجت شاعريته بوطنيه، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق في شعره، وظل حبه للوطن يوجهه في قصائده ويلهمه التغريد له والحنو عليه.

التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حق سمي (شاعر الأمير) ولكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيراً من صلته بالقصر هذا إلى أن الخديو عباس كان في أول عهده بالعرش يناوئ الاحتلال والاحتلال يناوئه، حتى إذا جنح لمهادنة الاستعمار، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي، اللهم إلا هداة وقتية في الحرب المشبوبة بين الأمة والاحتلال، على أن تأصل روح الوطنية في نفسه جعله لا يجاري الخديو عباس في انصرافه عن الحركة الوطنية، ثم في تنكره لها، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي.

وانفصل عن منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ وتحرر من المنصب الحكومي، فزادته الحرية قوة وإنتاجاً وتحليقاً في سماء الشعر والفن والخيال، واستهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد التي ينفي إليه، فاختار أسبانيا (الأندلس)، وبقى على عهده للوطن، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠، والبلاد في غليان الثورة، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالاً حافلاً رائعاً.

ويمتاز شعر شوقي بقوة البيان، وروعة الموسيقى الشعرية، وسعة الأفق، والتعميق في استيعاب الحوادث التاريخية، قديمها وحديثها، ولقد جاري فحول الشعراء المتقدمين، وبذهم في كثير من قصائده، وجدد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبسه عن شعراء الغرب، وعن الثقافة الأوروبية، وسار في التجديد شوطاً بعيداً وخاصة بعد عودته من المنفى، إذ وضع عدة

---

(١) عن التاريخ الثابت في شهادة الليسانس نالها الفقيد من كلية الحقوق بباريس.

مسرحيات شعرية بلغت مبلغاً عظيماً من الفن والموسيقى والجمال، كمصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وعنترة، وغيرها وظل ينتج ويشدو ويبدع، إلى أن توفى في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢.

الوطنية في شعر شوقي

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية، ويتأجج لهيبها، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجاً في هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شاباً وكهلاً وشيخاً، بل إن شعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه، وقد يكون مرجع ذلك إلى تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي، كما أسلفنا، ثم إلى نفيه من مصر في أوائل الحرب العالمية الأولى، فأثار البعد عن الوطن شاعريته، وجاد بأبدع قصائده في الحنين إلى مصر وحبه لها والهيام بها إلى درجة التقديس، ومرجع ذلك أيضاً إلى تأصل عبقرية الشعر في نفسه، فلم تضعفها السن، ولم ينل منها الزمن وظلت قوية تتدفق حيوية ونشاطاً.

والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام، وليست من صنع الظروف أو التكلف، ولذلك جاءت قوية جارفة، عميقة رائعة.

فتأمل في أول قصيدة له في ديوانه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد بمدينة جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها.

همـــت الفلـــك واحتواهـــا المـــاء وحـــداها بمـــن تقـــل الرجـــاء

تجدها آية في شعر الملاحم أو الشعر التاريخي، وتحس وأنت تقرؤها أنها قبس من نور الوطنية، فهي سجل ناطق (لكبار الحوادث في وادي النيل)، وقد بلغ عدد أبياتها ثلثمائة بيت إلا قليلاً (تسعين ومائتي بيت)، عرض فيها عرضاً أخاذا بديعا تاريخ مصر من أقدم العصور إلى عام نظمها، أشاد بعظمتها ومجد مفاخرها، وحتى عليها في كبواتها، واستنزل السخط على كل من اعتدى عليها.

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر:

قـــل لبـــان بنـــي فشـــاد فغـــالى لـــم يجـــز مصـــر فـــي الزمـــان بنـــاء

لـــيس فـــي الممكنـــات أن تنقـــل الأجبـــال [1] شـــما وأن تنـــال الســـماء

ولما انتهى في سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر، قال:

وأتـــى النســـر [2] ينهـــب الأرض نهبـــاً حولـــــه قومـــــه النســـــور ظمـــــاء
يشـــتهي النيـــل أن يشـــيد عليـــه دولـــة عرضـــها الثـــري والمســـاء
حلمـــت رومـــة بهـــا فـــي الليـــالي ورآهـــــا القياصـــــر الأقويـــــاء
فأتـــت مصـــر رســـلهم تتـــوالى وترامـــــت ســـــودانها العلمـــــاء
ولـــو استشـــهد الفرنســـيس رومـــا لأتـــتهم مـــن رومـــة الأنبـــاء
علمـــت كـــل دولـــة قـــد تولـــت أننـــــا ســـــمها وأنـــــا الوبـــــاء

قـــــاهر العصـــــر والممالـــــك نـــــابليون ولـــــت قـــــواده الكبـــــراء
جـــــاء طيشـــــاً وراح ومـــــن قبـــــل أطاشـــــت أناســـــها العليـــــاء

وانظر كيف يصور في البيتين الآتيين سكوت الأهرام وهي تواجه نابليون بأنه سكوت السخرية والاستهزاء وكأنها تتنبأ له بالهزيمة في ختام معاركه، قال:

ســـكتت عنـــه يـــوم عيرهـــا الأهـــرام لكـــن ســـكوتها اســـتهزاء

فهـــي تـــوحي إليـــه أنـــت تلـــك (واتـــر لـــو) فـــأين الجيـــوش أيـــن اللـــواء؟

وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال:

جمـــع [3] الزاخـــرين كرهـــا فلاكـــا نـــــا ولا كـــــان ذلـــــك الالتقـــــاء
أحمـــــر عنـــــد أبـــــيض للبرابـــــا حصـــــة القطـــــر منهمـــــا ســـــوداء

---

(١) الأجبال: جمع جبل.

(٢) يقصد نابليون.

(٣) الإشارة هنا إلى سعيد الذي منح دلسبس امتياز القناة، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر.

والقصيدة كلها على هذا الغرار في الإجادة والإبداع، ولقد نظمها وهو في الرابع والعشرين، وكأنما رسم فيها منهجه في الشعر، فهو يقتبس من عبقريته الشعرية، ومن روحه الوطنية معاً، وقد لازمه هذا الامتزاج في شتى قصائده.

شوقي ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعراء في مصر إلى جانب النهضة الوطنية التي هبت لمقاومة الاحتلال، ومن هنا جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره، وكانت دعوته الوطنية تلقي صدى وتأييداً في قصائدهم الغر، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق في سماء مجده مثلما تألق في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد.

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي، وزاد في هذا التجاوب أن شوقي كان صديقاً حميماً لمصطفى، كلاهما معجب بصاحبه أيما إعجاب، ولا غرو فهما صنوان، وفرسا رهان، هذا في ميدان الوطنية والجهاد، وذلك في دولة الشعر والبيان، وكان شوقي يعتز بصداقته لمصطفى ومشاركته إياه في تعهده الروح الوطنية وغرسها في نفوس الجيل، وإلى ذلك يشير في قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ إذ يقول فيها مخاطباً الفقيد.

أتذكر قبل هذا الجيل جيلا ... سهرنا عن معلمهم ونامـا؟
مهار الحق بغضنا إليهم ... شكيم القيصرية واللجامـا [١]
(اللواؤك) كان يسقيهم بجام ... وكان الشعر بين يدي جامـا
من الوطنية استبقوا رحيقاً ... فضضنا عن معتقها الختامـا

وكان مصطفى يصف شوقي بأنه "الغدير الصافي في القاف الغاب، يسقي الأرض ولا يبصره الناظرون"، وكان يخصص لقصائده أسمى مكان في (اللواء)، وفي ذلك يقول شوقي في مرثاته الخالدة:

قد كنت تهتف في الوري بقصائدي ... وتجل فوق النيرين مكاني

وزاره وهو على فراش مرضه الأخير، فطلب إليه مصطفى أن يرثيه إذ أحس بدنو أجله، وفي ذلك يقول شوقي:

---

(١) مهار: جمع مهر، والمراد بالمهار هنا الشباب، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها، بطش الاحتلال وجبروته.

وجعلـــت تســـألني الرثـــاء فهاكـــه مـــن أدمعـــي وســـرائري وجنـــاني

ويبدو الانسجام بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي في كثير من قصائده.

قصيدة شوقي في وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدة المشهور في وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة على أثر حادثة دنشواي، ففي أبياتها تتجلى الروح الوطنية والنقمة على الاحتلال، قال:

أيـــامكم أم عهـــد إســـماعيلا أم أنـــت فرعـــون يســـوس النـــيلا؟
أم حـــاكم فـــي أرض مصـــر بـــأمره لا ســـائلاً أبـــداً ولا مســـئولاً
يـــا مالكـــاً رق الرقـــاب ببأســـه هـــلا اتخـــذت إلـــى القلـــوب ســـبيلاً؟
لمـــا رحلـــت عـــن الـــبلاد تشـــهدت فكأنـــك الـــداء العيـــاء رحـــيلاً
أوســـعتنا يـــوم الـــوادع إهانـــة أدب لعمـــرك لا يصـــب مثـــيلاً [1]

إلى أن قال:

أنـــذرتنا رقـــا يـــدوم وذلـــة تبقـــى وحـــالا لا تـــرى تحـــويلاً
أحســـبت أن الله دونـــك قـــدرة لا يملـــك التغييـــر والتبـــديلا؟
الله يحكـــم فـــي الملـــوك ولـــم تكـــن دول تنازعـــه القـــوى لتـــدولا
وعـــون قبلـــك كـــان أعظـــم ســـطوة وأعـــز بـــين العـــالمين قبـــيلاً

* * *

اليـــوم أخلفـــت الوعـــود حكومـــة كنـــا نظـــن عهودهـــا الانجـــيلا
دخلـــت علـــى حكمـــا الـــوداد وشـــرعه مصـــراً فكانـــت كالســـلال دخـــولا
هـــدمت معالمهـــا وهـــدت ركنهـــا وأضـــاعت اعتقلالهـــا المـــأمولا

---

(١) يشير إلى خطبة اللورد كرومر في الحفلة التي أقامها صنائع الاحتلال بدار الأوبرا تكريماً له وأهان فيها المصريين.

وقال:

قـــد مـــد إســـماعيل قبلـــك للـــورى ... ظـــل الحضـــارة فـــي الـــبلاد ظلـــيلا
إن قـيس فـي جـود وفـي سـرف إلـى ... مـــا تنفقـــون اليـــوم عـــد بخـــيلا
أو كـــان قـــد صـــرع (المفـــتش) مـــرة ... فلـــم صـــرعت بدنشـــواي قتـــيلا
لا تـــذكر الكربـــاج فـــي أيامـــه ... مـــن بعـــد مـــا أنبـــت فيـــه ذيـــولا

قصيدته في ذكرى دنشواي

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواي)، بعد مرور عام على حادثتها، في سبيل طلب العفو عن سجنائها، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة.

قال:

يـــا دنشـــواي علـــى ربـــاك ســـلام ... ذهبـــت بـــأنس ربوعـــك الأيـــام
شـــهداء حكمـــك [1] فـــي الـــبلاد تفرقـــوا ... هيهـــات للشـــمل الشـــتيت نظـــام
مـــرت علـــيهم فـــي اللحـــود أهلـــة ... ومضـــى علـــيهم فـــي القيـــود العـــام
كيـــف الأرامـــل فيـــك بعـــد رجالهـــا ... وبـــأي حـــال أصـــبح الأيتـــام؟
عشـــرون بيتـــا أقفـــرت وانتابهـــا ... بعـــد البشاشـــة وحشـــة وظـــلام
يـــا ليـــت شـــعري فـــي البـــروج حمـــائم ... أم فـــي البـــروج منيـــة وحمـــام؟
(نيـرون) لـــو أدكـــت عهـــد (كرومـــر) ... لعرفـــت كيـــف تنفـــذ الأحكـــام!

* * *

نـــوحي حمـــائم دنشـــواي وروعـــي ... شـــعباً بـــوادي النيـــل لـــيس ينـــام
إن نامـــت الأحيـــاء حالـــت بينـــه ... ســـحراً وبـــين فراشـــه الأحـــلام
متوجـــع يتمثـــل البـــوم الـــذي ... ضـــجت لشـــدة هولـــه الأقـــدام
الســـوط يعمـــل والمشـــانق أربـــع ... متوحـــدات والجنـــود قيـــام

---

(١) أي حكم المحكمة المخصوصة في قضية دنشواي.

والمستشـــار [1] إلـــى الفظـــائع نـــاظر ... تـــــدمي جلـــــود حولـــــه وعظـــــام
فـــي كـــل ناحيـــة وكـــل محلـــة ... جزعـــاً مـــن المـــلأ الأســـيف زحـــام
وعلـــى وجـــوده الثـــاكلين كآبـــة ... وعلـــى وجـــوه الثـــاكلات رغـــام

رثاء لمصطفى كامل

ولما توفى مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقي بقصيدته الخالدة التي تعد أكبر مرثاة في تاريخ الأدب العربي، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآيات بينات تجلت فيها حكمة الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوماً، فأثرت في النفوس تأثيراً عميقاً، وجددت أحزان الأمة، وحفظناها وحفظها الشباب وقتئذ عن ظهر قلب، لأنها عبرت عن شعورنا جميعاً في الرزء الفادح، ننشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطني الخالد. قال في مطلعها:

المشـــــرقان عليـــــك ينتحبـــــان ... قاصـــــيهما فـــــي مـــــأتم والـــــداني
يـــا خـــادم الإســـلام أجـــر مجاهـــد ... فـــي الله مـــن خلـــد ومـــن رضـــوان
لمـا نعيـت إلـى الحجـاز مشـي الأسـى ... فـــــي الزائـــــرين وروع الحرمـــــان
الســـكة الكبـــرى [2] حيـــال رباهـــا ... منكوســـــة الأعـــــلام والقضـــــبان
لـــم تألهـــا عنـــد الشـــدائد خدمـــة ... فـــــي الله والمختـــــار والســـــلطان
يـــا ليـــت مكـــة والمدينـــة فازتـــا ... فـــي المحفلـــين بصـــوتك الرنـــان
ليـــرى الأواخـــر يـــوم ذاك ويســـمعوا ... مـــا غـــاب مـــن قـــس ومـــن ســـحبان [3]
جـــار التـــراب وإنـــت أكـــرم راحـــل ... مـــاذا لقيـــت مـــن الوجـــود الفـــاني؟

وقال عن مرضه الذي أودى بحياته:

---

(١) يريد الكابتن متشل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم.

(٢) يريد سكة حديد الحجاز.

(٣) قس وسحبان خطيبان من أبلغ خطباء العرب.

أبكـي صـباك ولا أعاتـب مـن جنـى ... هــذا عليــه كرامــة للجــاني [1]
يتســاءلون أبــا لســلال قضــيت أم ... بالقلــب أم هــل مــت بالســرطان
الله يشــهد أن موتــك بالحجــا ... والجــد والإقــدام والعرفــان

وقال يشيد بأخلاق الفقيد:

إن كــان للأخــلاق ركــن قــائم ... فــي هــذه الــدنيا فأنــت البــاني
بــالله فــتش عــن فــؤادك فــي الثــرى ... هــل فيــه آمــال وفيــه أمــاني
وجــدانك الحــي المقــيم علــى المــدى ... ولــرب حــي ميــت الوجــدان

وقال في فلسفة الحياة:

النــاس جــار فــي الحيــاة لغايــة ... ومضــلل يجــري لغيــر عنــان
والخلــد فــي الــدنيا ولقــيس بهــين ... عليــا المراتــب لــم تــتح لجبــان
فلــو أن رســل الله قــد جبنــوا لمــاً ... مــاتوا علــى ديــن ولا إيمــان
المجــد والشــرف الرفيــع صــحيفة ... جعلــت لهــا الأخــلاق كــالعنوان
وأحــب ممــن طــول الحيــاة بذلــة ... قصــر يريــك تقاصــر الأقــران
دقــات قلــب المــرء قائلــة لــه ... إن الحيــاة دقــائق وثــوان
فــارفع لنفســك بعــد موتــك ذكرهــا ... فالــذكر للإنســان عمــر ثــاني
للمــرء فــي الــدنيا وجــم شــؤونها ... مــا شــاء مــن ربــح ومــن خســران
فهــي القضــاء لراغــب متطلــع ... وهــي المضــيق لمــؤثر الســلوان

* * *

النــاس غــاد فــي الشــقاوة رائــح ... يشــقى لــه الرحمــاء وهــو الهــاني
ومــنعم لــم يلــق إلا لــذة ... فــي طيهــا شــجن مــن الأشــجان
فاصــبر علــى نعمــي الحيــاة وبؤســها ... نعمــى الحيــاة وبؤســها ســيان

وقال مخاطباً الزعيم:

---

(١) الجاني: إشارة إلى مصطفى كامل أي أنه ضحى بحياته وشبابه في سبيل مصر.

يـــا طـــاهر الغـــدوات والروحـــات والـــ ـــــخطرات والإســـــرار والإعـــــلان
هـــل قـــام قبلـــك فـــي المـــدائن فـــاتح غـــــاز بغيـــــر مهنـــــد وســـــنان؟
يـــدعو إلـــى العلـــم الشـــريف وعنـــده أن العلـــــوم دعـــــائم العمـــــران

وقال في وصف الجنازة:

لفـــوك فـــي علـــم الـــبلاد منكســـاً جـــزع الهـــلال علـــى فتـــى الفتيـــان
مـــا احمـــر مـــن خجـــل ولا مـــن ريبـــة لكنهمـــــا يبكـــــي بـــــدمع قـــــاني [1]
يزجـون نعشـك فـي السـناء وفـي السـنا فكأنمـــــا فـــــي نعشـــــك القمـــــران
وكأنـــه نعـــش (الحســـين) "بكـــربلا" يختـــال بـــين بكـــي وبـــين حنـــان
فـــــي ذمـــــة الله الكـــــريم وبـــــره مـــا ضـــم مـــن عـــرف ومـــن إحســـان
ومشـــى جـــلال المـــوت وهـــو حقيقـــة وجلالـــــك المصـــــدوق يلتقيـــــان

* * *

شـــقت لمنظـــرك الجيـــوب عقائـــل وبكتـــك بالـــدموع والهتـــون غـــواني
والخلـــق حولـــك خاشـــعون كعهـــدهم إذ ينصـــــتون لخطبـــــة وبيـــــان
يتســـاءلون بـــأي قلـــب ترتقـــي بعـــد المنـــابر أم بـــأي لســـان
فلـــو إن أوطانـــاً تصـــور هـــيكلاً دفنـــوك بـــين جـــوانح الأوطـــان
أو كـــان يحمـــل فـــي الجـــوارح ميـــت حملـــوك فـــي الأســـماع والأجفـــان
أو صـــيغ مـــن غـــر الفضـــائل والعلـــى كفـــن لبســـت أحاســـن الأكفـــان
أو كـــان للـــذكر الحكـــيم بقيـــة لـــم تـــأت بعـــد رثيـــت فـــي القـــرآن

وقال يصف الفقيد في مرضه الأخير:

ولقـــد نظرتـــك والـــردى بـــك محـــدق والـــداء مـــلء معـــالم الجثمـــان
يبغـــي ويطغـــي والطبيـــب مضـــلل قـــنط وســـاعات الرحيـــل دوانـــي
ونـــواظر العـــواد عنـــك أمالهـــا دمـــع تعـــالج كتمـــه وتعـــاني

---

(١) قاني: أحمر.

تملـــي وتكتـــب والمشـــاغل جمـــة ... ويـــداك فـــي القرطـــاس وترتجفـــان
فهششـــت لـــي حتـــى كأنـــك عائـــدي ... وأنـــا الـــذي هـــدى الســـقام كيـــاني
ورأيـــت كيـــف تمـــوت آســـاد الشـــرى ... وعرفـــت كيـــف مصـــارع الشـــجعان
ووجـــدت فـــي ذاك الخيـــال عزائمـــاً ... مـــا للمنـــون بـــدكهن يـــدان

* * *

وجعلـــت تســـألني الرثـــاء فهاكـــه ... مـــن أدمعـــي وســـرائري وجنـــاني
لـــولا مغالبـــة الشـــجون لخـــاطري ... لنظمـــت فيـــك يتيمـــة الأزمـــان
وأنـــا الـــذي أرثـــي الشـــموس إذا هـــوت ... فتعـــود ســـيرتها مـــن الـــدوران

* * *

قـد كنـت تهتـف فـي الـورى بقصـائدي ... وتجـــل فـــوق النيـــران مكـــاني
مـــاذا دهـــاني يـــوم بنـــت فعقنـــي ... فيـــك القـــريض وخـــاننني إمكـــاني
هـــون عليـــك فـــلا شـــمات بميـــت ... إن المنيـــة غايـــة الإنســـان
مـــن للحســـود بميتـــة بلغتهـــا ... عـــزت علـــى كســـري أنـــو شـــروان
عوفيـت مـن حـرب الحيـاة وحربهـا ... فهـل اسـترحت أم اسـتراح الشـاني

وقال في ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر:

يـا صـب مصـر ويـا شـهيد غرامهـا ... هـذا ثـرى مصـر فـنهم بأمـان
اخلـع علـى مصـر شـبابك غاليـاً ... والـبس شـباب الحـور والولـدان
فلعـل مصـراً مـن شـبابك ترتـدي ... مجـداً تتيـه بـه علـى البلـدان
فلـو أنـا بـالهرمين مـن عزماتـه ... بعـض المضـاء تحـرك الهرمـان
علمـت شـبان المـدائن والقـرى ... كيـف الحيـاة تكـون فـي الشـبان
مصـر الأسـيفة ريفهـا وصـعيدها ... قبـر أبـر علـى عظامـك حـاني
أقسـمت أنـك فـي التـراب طهـارة ... ملـك يهـاب سـؤاله الملكـان

شهيد الحق

وكان شوقي لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته:

فمن ذلك قصيدته التي نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكراه بعنوان (شهيد الحق)، تناول فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر، ثم انتقل من ذلك على ذكرى مصطفى كامل، فوفاه حقه من التمجيد، قال في مطلعها:

إلام الخلف بينكموا إلا ما؟ ... وهذه الضجة الكبرى علاماً؟
وفيم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما؟
وأين الفوز؟ لا مصر استقرت ... على حال ولا السودان داما

إلى أن قال:

ولينا الأمر حزبا بعد حزب ... فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلاً ... ولم نعد الجزاء والانتقاما
وسسنا الأمر حين خلا إلينا ... بأهواء النفوس فما استقاما

وقال ذاكراً مناقب الفقيد:

شهيد الحق قم تره يتيما ... بأرض ضيعت فيها اليتامى
أقام على الشفاه بها غريبا ... ومر على القلوب فما أقاما [1]
سقمت فلم تبت نفس بخير ... كأن بمهجة الوطن السقاما
ولم أر مثل نعشك إذ تهادي ... فغطى الأرض وانتظم الأناما
تحمل همة وأقل دينا ... وضم مروءة وحوى زماما
وما أنساك في العشرين لما ... طلعت حيالها قمراً تماماً
يشار إليك في النادى وترمي ... بعيني من أحب ومن تعامي
إذا جئت المنابر كنت (قسا) ... إذا هو في عكاظ علا السناما
وأنت ألذ للحق اهتزازاً ... وألطف حين تنطقه ابتساما
وتحمل من أديم الحق وجها ... صراحاً ليس يتخذ اللثاما

---

(١) أي أن الحق تنطق به الأفواه ولا يستقر في القلوب.

* * *

أتـــذكر قبـــل هـــذا الجيـــل جـــيلاً ... ســـــهرنا عـــــن معلمهـــــم ونامـــــا؟
مهـــــار الحـــــق بغضـــــنا إلـــــيهم ... شـــــكيم القيصـــــرية واللجامـــــا
لـــــواؤك كـــــان يســـــقيهم بجـــــام ... وكـــــان الشـــــعر بـــــين يـــــدي جامـــــا
مـــــن الوطنيـــــة اســـــتبقوا رحيقـــــاً ... فضضـــــنا عـــــن معتقهـــــا الختامـــــا
غرســـــنا كرمهـــــا فزكـــــا أصـــــولا ... بكـــــل قـــــرارة وزكـــــا مـــــداما
جمعتهمـــــو علـــــى نبـــــرات صـــــوت ... كـــــنفخ الصـــــور حركـــــت الرجامـــــا [1]
لـــك الخطـــب التـــي غـــص الأعـــادي ... بســـــورتها وســـــاغت للنـــــدامى [2]
فكانـــــت فـــــي مراراتهـــــا زئيـــــرا ... وكانـــــت فـــــي حلاوتهـــــا بغامـــــا [3]
بـــك الوطنيـــة اعتـــدلت وكانـــت بنيـــت ... حـــــديثاً مـــــن خرافـــــة أو منامـــــا
الأوطـــــــــــان منهـــــــــــا ... وصـــــيرت (الجـــــلاء) لهـــــا دعامـــــا

وله قصيدة في ذكراه سنة ١٩٢٦ قال:

لـــــم يمـــــت مـــــن لـــــه أثـــــر ... وحيـــــــاة مـــــــن الســـــــير
أدعـــــــــه غائبـــــــــاً وإن ... بعـــــــدت غايـــــــة الســـــــفر
آيـــــــب الفضـــــــل كلمـــــــا ... آبـــــــت الشـــــــمس والقمـــــــر [4]
رب نـــــــــور مـــــــــتمم ... قـــــد أتانـــــا مـــــن الحفـــــر
إنمـــــا الميـــــت مـــــن مشـــــى ... ميـــــت الخبـــــر والخبـــــر
مـــــن إذا عـــــاش لـــــم يفـــــد ... وإذا مـــــات لـــــم يضـــــر
لـــــيس فـــــي الجـــــاه والغثـــــى ... منـــــه ظـــــل ولا ثمـــــر
قـــــبح العـــــز فـــــي القصـــــ ... ـــــور إذا ذلـــــت القصـــــر

---

(١) الرجام: القبور.

(٢) السورة: الحدة والشدة: والندامى جمع نديم والمراد بهم والأنصار والأصدقاء.

(٣) البغام: صوت الظبي.

(٤) أي يعود للفقيد فضل وتتجدد ذكراه كلما آبت الشمس وعاد القمر.

* * *

أعـــــوز الحـــــق ذائـــــد ... وإلـــــى (مصـــــطفى) افتقـــــر
وتمنـــــــت حياضـــــه ... هبـــــة الصـــــارم الـــــذكر
الـــــذي ينفـــــذ المـــــدى ... والـــــذي يركـــــب الخطـــــر
أيهـــــا القـــــوم عظمـــــوا ... واضـــــع الأس والحجـــــر
أذكـــــروا الخطبـــــة التـــــي ... هـــــي مـــــن آيـــــة الكبـــــر
لـــــم يـــــر النـــــاس قبلهـــــا ... منبـــــراً تحـــــت محتضـــــر
لســـــت أنســـــى لـــــواءه ... وهـــــو يمشـــــي إلـــــى الظفـــــر
حشـــــر النـــــاس تحتـــــه ... زمـــــراً إثرهـــــا زمـــــر
وتـــــرى الحـــــق حولـــــه ... لا تـــــرى البـــــيض والســـــمر [1]
كلمـــــا راح أو غـــــدا ... نفـــــخ الـــــروح فـــــي الصـــــور
يـــــا أخـــــا الـــــنفس فـــــي الصـــــبا ... لـــــذة الـــــروح فـــــي الصـــــغر
وخلـــــيلاً ذخرتـــــه ... لـــــم يقـــــوم بمـــــدخر
حـــــال بينـــــي وبينـــــه ... فـــــي فجاءاتـــــه القـــــدر
كيـــــف أجـــــزي مـــــودة ... لـــــم يشـــــب صـــــفوها كـــــدر
غيـــــر دمـــــع أقولـــــه ... قـــــل فـــــي الشـــــأن أو كثـــــر
وفـــــؤاد معلـــــل ... بالخيـــــالات والـــــذكر
لـــــم يـــــنم عنـــــك ســـــاعة ... فـــــي الأحاديـــــث والســـــمر
قـــــم تـــــر القـــــوم كتلـــــة ... مثـــــل ملمومـــــة الصـــــخر
جـــــددوا ألفـــــة الهـــــوى ... والإخـــــاء الـــــذي شـــــطر
لـــــيس للخلـــــف بيـــــنهم ... أو لأســـــبابه أثـــــر
ألفـــــتهم روائـــــح ... غاديـــــات مـــــن الغيـــــر
وصـــــحوا مـــــن منـــــوم ... وأفـــــاقوا مـــــن الخـــــدر [1]
أقبلـــــوا نحـــــو حقهـــــم ... مـــــا لهـــــم غيـــــه وطـــــر
جعلـــــوه خليـــــة ... شـــــرعوا دونهـــــا الإبـــــر

---

(١) الخدر الكسل.

(١) يرد البرلمان .

وتواصـــــــــــوا بخطـــــــــــة وتـــــــــــداعوا لمـــــــــــؤتمر
وقصـــــــارى أولـــــــى النهـــــــي يتلاقـــــــون فـــــــي الفكـــــــر
آذنونـــــــــــا بموقـــــــــــف مـــــن جـــــلال ومـــــن خطـــــر
نســـــــمع الليـــــــث عنـــــــده دون آجامـــــــــــــــــــــه زأر
قـــــل لهـــــم فـــــي نـــــديم [1] مصـــــــر بالبـــــــاب تنتظـــــــر

شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى، وعندما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية سنة ١٩٠٨، بعد وفاة الزعيم الأول، كانت سياسة (الوفاق) بين الخديوي عباس الثاني والمعتمد البريطاني قد ثبتت قواعدها، وتنكر عباس للحركة والوطنية، ومع صلة شوقي بالقصر واشتداد الجفاء بين الخديوي وفريد، فإنه لم يتعرض له بسوء في أي قصيدة له، وكان هذا منه نعم الوفاء للوطنية.

وبدا حب شوقي للحزب الوطني وتأييده له من رثائه لعمر بك لطفي أحد أقطاب هذا الحزب ومؤسس التعاون في مصر، مفقد نظم سنة ١٩١١ في رثائه قصيدة بديعة قال في مطلعها:

قفـــوا بـــالقبور نســـائل عمـــر متـــى كانـــت الأرض مثـــوى القمـــر؟

---

(١) البيض: السيف والسمر والرماح.

وفيها يقول:

"نقاباتـــك" الغـــر تبكـــي عليـــك ... ويبكـــي عليـــك النـــدى الأغـــرا [1]
ويبكـــي التعـــاون مـــن ســـنه ... عشـــية لـــيس لـــه مـــن أثـــر
ويبكيـــك (حـــزب) تخيرتـــه ... شـــريف المـــرام شـــريف الـــوطر
ويبكـــي الأول أنـــت علمـــتهم ... وأنـــت غرســـت فكـــانوا الثمـــر

رثاؤه لفريد

ولما توفى فريد سنة رثاه بقصيدة من عيون شعره، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد، قال:

كـــل حـــي علـــى المنيـــة غـــادي ... تتـــوالى الزكـــاب والمـــوت حـــادي [2]
ذهـــب الأولـــون قرنـــا فقرنـــا ... لـــم يـــدم حاضـــر ولـــم يبـــق بـــادي [3]
هـــل تـــرى منهمـــو وتســـمع عـــنهم ... غيـــر بـــاقي مـــآثر وأيـــادي؟

* * *

كـــرة الأرض كـــم رمـــت صـــولجانا ... وطـــوت مـــن ملاعـــب وجيـــاد
والغبـــار الـــذي علـــى صـــفحتيها ... دوران الرحـــي علـــى الأجســـاد
كـــل قبـــر مـــن جانـــب القفـــر يبـــدو ... علـــم الحـــق أو منـــار المعـــاد
وزمـــام الركـــاب مـــن كـــل فـــج ... ومحـــط الرحـــال مـــن كـــل وادي
تطلـــع الشـــمس حيـــث تطلـــع نضـــجاً ... وتنحـــي كمنجـــل الحصـــاد

---

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفي رئيسه.

(٢) الحادي هو الذي يغني للقافلة فتنشط في سيرها.

(٣) الحاضر ساكن الحضر، والبادي ساكن البادية.

إلى أن قال:

أســـألتم حقيبـــة المـــوت مـــاذا ... تحتهـــا مـــن ذخيـــرة وعتـــاد؟
إن فـــي طيهـــا إمـــام صـــفوف ... وحـــواري نيـــة واعتقـــاد
لـــو تـــركتم لهـــا الزمـــام لجـــاءت ... وحـــدها بالشـــهيد دار الرشـــاد
انظروا هل ترون في الجمع (مصرا) ... حاســـراً قـــد تجللـــت بســـواد
تـــاج أحرارهـــا غلامـــاً وكهـــلاً ... راعهـــا أن تـــراه فـــي الأصـــفاد
وســـدره التـــراب نضـــو ســـفار ... فـــي ســـبيل الحقـــوق نضـــو ســـهاد
واركـــزوه إلـــى القيامـــة رمحـــاً ... كـــان للحشـــد والنـــدى والطـــراد
وأقـــروه فـــي الصـــفائح عضـــباً ... لـــم يـــدن بـــالقرار فـــي الأغمـــاد

وقال مشيراً إلى موته في منفاه:

نـــازح الـــدار أقصـــر اليـــوم بـــين ... وانتهـــت محنـــة وكفـــت عـــوادي
وكفـــى المـــوت مـــا تخـــاف وترجـــو ... وشـــفى مـــن أصـــادق وأعـــادي
مـــن دنـــا أو نـــأي فـــإن المنايـــا ... غايـــة القـــرب أو قصـــارى البعـــاد
ســـر مـــع العمـــر حيـــث شـــئت تؤوبـــا ... وافقـــد العمـــر لا تـــؤب مـــن رقـــاد
ذلـــك الحـــق لا الـــذي زعمـــوه ... فـــي قـــديم مـــن الحـــديث معـــاد
وجـــرى لفظـــه علـــى ألســـن النـــا ... س ومعنـــاه فـــي صـــدور الصـــعاد
يتحلـــى بـــه القـــوى ولكـــن ... كتحلـــى القتـــال باســـم الجهـــاد

* * *

هـــل تـــرى كـــالتراب أحســـن عـــدلاً ... وقيامـــا علـــى حقـــوق العبـــاد
نـــزل الأقويـــاء فيـــه علـــى الضـــعفي ... وحـــل الملـــوك بالزهـــاد
صـــفحات نقيـــة كقلـــوب الرســـل ... مغســـولة مـــن الأحقـــاد
قـــم إن اســـنطعت مـــن ســـريرك وانظـــر ... ســـر ذاك اللـــواء فـــي الأجنـــاد
هـــل تـــراهم وأنـــت مـــوف علـــيهم ... غيـــر بنيـــان ألفـــة واتحـــاد
أمـــة هيئـــت وقـــوم لخيـــر الـــدهر ... أو شـــره علـــى اســـتعداد
مصـــر تبكـــي عليـــك فـــي كـــل خـــدر ... وتصـــوغ الرثـــاء فـــي كـــل نـــاد

لـــو تأملتهـــا لراعـــك منهـــا غـــرة البـــر فـــي ســـواد الحـــداد
منتهـــى مـــا بـــه الـــبلاد تغـــزي رجـــل مـــات فـــي ســـبيل الـــبلاد
أمهـــات لا تحمـــل الشـــكل إلا للنجيـــب الجـــريء فـــي الأولاد
(كفريـــد) وأنـــي ثـــاني فريـــد أي ثـــان لواحـــد الآحـــاد؟
الـــرئيس الجـــواد فيمـــا علمنـــا وبلونـــا وابـــن الـــرئيس الجـــواد
أكلـــت مـــا لـــه الحقـــوق وأبلـــى جســـمه عائـــد مـــن الهـــم عـــادي
لـــك فـــي ذلـــك الضـــنى رقـــة الـــرو ح وخفـــق الفـــؤاد فـــي العـــواد
علـــة لـــم تصـــح فراشـــك حتـــى وطئـــت فـــي القلـــوب والأكبـــاد
صـــادفت قرحـــة يلائمهـــا الصـــبر وتـــأبتى عليـــه غيـــر الفســـاد
وعـــد الـــدهر أن يكـــون ضـــمادا لـــك فيهـــا فكـــان شـــر ضـــمان
وإذا الـــروح لـــم تـــنفس عـــن الجســـم (فبرقـــراط) [1] نـــافخ فـــي رمـــاد

قصيدته في ذكراه

وفي سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة في ذكراه الخامسة وهي من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل في تمجيد فريد ووطنيته وتضحياته، قال:

نجـــدد ذكـــرى عهـــدكم ونعيـــد ونـــدنى خيـــال الأمـــس وهـــو بعيـــد
وللنـــاس فـــي الماضـــي بصـــائر يهتـــدي علـــيهن غـــاو أو يســـير رشـــيد
إذا ألميـــت لـــم يكـــرم بـــأرض ثـــاؤه تحيـــر فيهـــا الحـــي كيـــف يســـود
ونحـــن قضـــاة الحـــق نرعـــى قيدمـــه وإن لـــم يفتنـــا فـــي الحقـــوق جديـــد
ونعلـــم أنـــا فـــي البنـــاء دعـــائم وأنـــتم أســـاس فـــي البنـــاء وطيـــد
فريـــد ضـــحايانا كثيـــر وإنمـــا مجـــال الضـــحايا أنـــت فيـــه فريـــد
فمـا خلـف مـا كابـدت فـي الحـق غايـة ولا فـــوق مـــا قاســـيت فيـــه مزيـــد
تغربـــت عشـــراً أنـــت فـــيهن بـــائس وأنـــت بآفـــاق الـــبلاد شـــريد
تجـــوع ببلـــدان وتعـــرى بغيرهـــا وتـــرزح تحـــت الـــداء وهـــو عتيـــد
ألا فـــي ســـبيل الله والحـــق طـــارف مـــن المـــال لـــم تبخـــل بـــه وتليـــد

---

(١) بقراط هو أبو الطب.

وجـودك بعـد المـال بـالنفس صـابرا إذا جـزع المحضـور وهـو يجـود
فـلا زلـت تمثـالا مـن الحـق خالصـاً علـى سـره نبنـي العـلا ونشـيد
يعلـم نـشء الحـي كيـف هـوى الحمـى وكيـف يحـامي دونـه ويـذود

حبه وتقديسه للوطن

إن حب شوقي للوطن يتمشى في معظم قصائده تراه في ديوانه، وقد اقتبسنا طرفا منها،وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقديس والعبادة مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال، على تعاقب السنين والأجيال، وتبعث في نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفناء فيه.

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه:

ويـا وطنـي لقيتـك بعـد يـأس كـأني قـد لقيـت بـك الشـبابا
ولـو أنـي دعيـت [١] لكنـت دينـي عليـه أقابـل الحـتم المجابـا [٢]
أديـر إليـك قبـل البيـت وجهـي إذا فهـت الشـهادة والمتابـا

ففي هذه الأبيات يقدم شوقي الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عندما يلقي ربه.

وقله سنة ١٩٢٤ مخاطباً الشباب:

وجـه الكنانـة لـيس يغضـب ربكـم أن تجعلـوه كوجهـه معبـودا
ولـوا إليـه فـي الـدروس وجـوهكم وإذا فـرغتم. فاعبـدوه هجـودا
إن الـذي قسـم الـبلاد حبـاكمو بلـداً كأوطـان النجـوم مجيـدا
قـد كـان– والـدنيا لحـود كلهـا– للعبقريـة والفنـون مهـودا

---

(١) أي دعيت إلى الموت.

(٢) الحتم المجاب هو الموت.

وقله وهو في منفاه:

وطنـــي لـــو شـــغلت بالخلـــد عنـــه نـــازعتني إليـــه فـــي الخلـــد نفســـي

أي أنه لو شغل عن الوطن بجنة الخلد وسكنها، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي:

وللأوطـــان فـــي دم كـــل حـــر يـــد ســـلفت وديـــن مســـتحق
وللحريـــة الحمـــراء بـــاب بكـــل يـــد مضـــرجة تـــدق

وقوله:

لا تلوماهـــا أليســـت حـــرة وهـــوي الأوطـــان للأحـــرار ديـــن

وقال سنة ١٩٠٤:

أحبـــك مصـــر مـــن أعمـــاق قلبـــي وحبـــك فـــي صـــميم القلـــب نـــام

وبلغ حبه لمصر أن جعلها كعبة أشعاره قال:

وانـــي لغريـــد هـــذا البطـــاح تغـــذي جناهـــا وسلســـالها
تـــرى مصـــر كعبـــة أشـــعاره وكـــل معلقـــة قالهـــا

ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجد ثورة ١٩١٩:

يـــوم البطولـــة لـــو شـــهدت نهـــاره لنظمـــت للأجيـــال مـــا لـــم يـــنظم
غبنـــت حقيقتـــه وفـــات جمالهـــا بـــاع الخيـــال العبقـــري الملهـــم
لـــو لا عـــوادي النفـــي أو عقبانـــه والنفـــي حـــال مـــن عـــذاب جهـــنم
لجمعـــت ألـــوان الحـــوادث صـــورة [1] مثلـــت فيهـــا لصـــورة المستســـلم

---

(١) يشير إلى أنه كان منفاه حيث شبت الثورة.

وحكيت فيها النيل كاظم غيظه ... وحكيته متغيظاً لم يكظم
دعت البلاد إلى الغمار فغامرت ... وطنية بمثقف ومعلم
ثارت على الحامي العتيد وأقسمت ... سواه جل جلاله لا تحتمي

* * *

يوم النضال كستك لون جمالها ... حرية صبغت أديمك بالدم

تعلقه بالجلاء

ويبدو في شعره مبلغ تعلقه بالجلاء، وإيمانه به، وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التي يستلهم منها شعره.

قال في سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم في قضية المؤامرة الكبرى:

لما بني الله القضية [١] منهمو ... قامت على الحلق المبين عمودا
جادوا بأيام الشباب وأوشكوا ... يتجاوزون إلى الحياة الجودا
طلبوا (الجلاء) على الجهاد مثوبة ... لم يطلبوا أجر الجهاد زهيداً
والله: ما دون الجلاء ويومه ... يوم تسميه الكنانة عيدا
وجد السجين يداً تحطم قيده ... من ذا يحطم للبلاد قيوداً؟

---

(١) يقصد القضية الوطنية.

وحدة وادي النيل

وقال في يوليه سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادي النيل من قصيدة له في استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله:

ولـــن نرضـــي أن تقـــد القنـــاة ... ويبتـــر مـــن مصـــر ســـودانها
فمصـــر الريـــاض وســـودانها ... عيـــون الريـــاض وخلجانهـــا
ومـــا هـــو مـــاء ولكنـــه ... وريـــد الحيـــاة وشـــريانها
تـــتمم مصـــر ينابيعـــه ... كمـــا تمـــم العـــين إنســـانها
وأهلـــوه منـــذ جـــرى عذبـــه ... عشـــيرة مصـــر وجيرانهـــا

مشروع ملنر

هو مشروع المعاهدة الذي انتهت إليه مفاوضات سعد- ملنر سنة ١٩٢٠ ويحمل في طياته عناصر الحماية، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف، فلما توفى سنة ١٩٢٦ رثاه شوقي في قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأيدها، قال:

بـالأمس كانـت لابـن هيـف غضـبة ... للحـــق نـــذكرها يـــدا بيضـــاء
مشـت الـبلاد إلـى رسـالة (ملنـر) ... وتحفـــزت أرضـــاً لهـــا وســـماء
فلمحـت أعـرج فـي زوايـا الحـق لـم ... أعلـــم عليـــه ذمـــة عرجـــاء [1]
ارتـــدت العاهـــات عـــن أخلاقـــه ... لســـموهن وحلـــت الأعضـــاء
لمـــا رأي (التقريـــر) ينفـــث ســـمه ... ســـبق الحـــواة فـــأخرج الرقطـــاء [2]
هتـــك الحمايـــة والرجـــال وراءهـــا ... يتلمســـون لهـــا الســـتور ريـــاء

---

(١) أصيب المرحوم أبو هيف بمرض بترت فيه ساقهن وكان يمشي على ساق صناعية.

(٢) الرقطاء: الحية.

تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ [١].

ربحت من (التصريح) أن قيودها ... قد صرن من ذهب وكن حديداً
أو ما ترون على (المنابع) [٢] عدة ... لا تنجلي وعلى (الضعاف) عديداً
يا فتية النيل السعيد خذوا المدى ... واستأنفوا نفس الجهاد مديداً

يدعو إلى التضحية ويهاجم الاستعمار

قال يدعون إلى الجد والتضحية:

والمرء ليس بصادق في قوله ... حتى يؤيد قوله بفعاله
والشعب إن رام الحياة كبيرة ... خاض الغمار دما إلى آماله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي:

لحاها الله أبناء توالت ... على سمع الولي بما يشق [٣]
يفصلها إلى الدنيا يريد ... ويجملها إلى الآفاق برق
وللمستعمرين وإن ألانوا ... قلوب كالحجارة لا ترق
رماك بطيشه ورمي فرنسا ... أخو حرب به صلف وحمق
إذا ما جاء طلاب حق ... يقول عصابة خرجوا وشقوا
دم الثوار تعرفه فرنسا ... وتعلم أنه نور وحق

---

(١) هو التصريح الذي أعلنته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر وبالاعتراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولي أمور أربعة تعصف بجوهر الاستقلال وهي (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات (٤) السودان.

(٢) منابع النيل بالسودان، وعدة أي جنودا، والضعاف قناة السويس.

(٣) الول يأي المحب والصديق.

إلى أن قال:

نصـــــحت ونحـــــن مختلفـــون داراً ... ولكـــن كلنـــا فـــي الهـــم شـــرق
ويجمعنـــــا إذا اختلفـــــت بـــــلاد ... بيـــان غيـــر مختلـــف ونطـــق
وقفـــتم بـــين مـــوت أو حيـــاة ... فـــإن رمـــتم نعـــيم الـــدهر فاشـــقوا
وللأوطـــان فـــي دم كـــل حـــر ... يـــد ســـلفت وديـــن مســـتحق
ومـــن يســـقي ويشـــرب بالمنايـــا ... إذا الأحـــرار لـــم يســـقوا ويســـقوا؟
ولا يبنـــي المالـــك كالضـــحايا ... ولا يـــدني الحقـــوق ولا يحـــق
ففـــي القتلـــى لأجيـــال حيـــاة ... وفـــي الأســـرى فـــدى لهـــم وعتـــق
وللحريـــة الحمـــراء بـــاب ... بكـــل يـــد مضـــرجة يـــدق

يشفق على الوطن

من قصيدة له استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حتى تتحقق أهدافها.

وطنـي أسـفت عليـك فـي عيـد الملا ... وبكيـت مـن وجـد ومـن إشـفاق
لا عيـد لـي حتـى أراك بأمـة ... شـماء راويـة مـن الأخـلاق
ذهـب الكـرام الجـامعون لأمـرهم ... وبقيـت فـي خلـف بغيـر خـلاق [1]
أيظـل بعضـهم لـبعض خـاذلاً ... ويقـال شـعب فـي الحضـارة راق؟
وإذا أراد الله إشـقاء القـرى ... جعـل الهـداة بهـا دعـاة شـقاق

هي أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد:

وإنمـا الأمـم الأخـلاق مـا بقيـت ... فـإن هـم ذهبـت أخلاقهـم ذهبـوا

وقد أكد هذا المعنى الرائع في غير موضع.

---

(١) الخلاق: النصيب الوافر من الخير.

قال:

وإذا أصـــيب القـــوم فـــي أخلاقهـــم ... فـــأقم علـــيهم مأتمـــاً وعـــويلا

وقال:

ومـــا الســـلاح لقـــوم كـــل عـــدتهم ... حتـــى يكونـــوا مـــن الأخـــلاق فـــي أهـــب

وقال أيضاً:

علـــى الأخـــلاق خطـــوا الملـــك وابنـــوا ... فلـــيس وراءهـــا للعـــز ركـــن

وقوله:

المجـــد والشـــرف الرفيـــع صـــحيفة ... جعلـــت لهـــا الأخـــلاق كـــالعنوان

وقوله:

وإذا مـــا أصـــاب بنيـــان قـــوم ... وهـــي خلـــق فإنـــه وهـــي أس

وقوله:

كـذا النـاس بـالأخلاق يبقـى صـلاحهم ... وذهـب عـنهم أمـرهم حـين يـذهب

وقوله:

ولقـد يقـام مـن السـيوف ولـيس مـن ... عثـــرات أخـــلاق الشـــعوب قيـــام

ومن قصيدته (نهج البردة):

صـــلاح أمـــرك للأخـــلاق مرجعـــه ... فقـــوم الـــنفس بـــالأخلاق تســـتقم

والـنفس مـن خيرهـا فـي خيـر عافيـة ... والـنفس مـن شـرها فـي مرتـع وخـم

وقوله:

وكـــان جنـــابهم فيهـــا ميبـــا ... وللأخـــلاق أجـــدر أن تهابـــا

وقال في هذا المعنى من قصيدة له سنة ١٩٢٠:

ولـــيس بعـــامر بنيـــان قـــوم إذا أخلاقهـــم كانـــت خرابـــا

وقوله:

ولا المصـــائب إذ يرمـــي الرجـــال بهـــا بقـــاتلات إذا الأخـــلاق لـــم تصـــب

يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠:

الحـــق أبلـــج كالصـــباح للنـــاظر لـــو أن قومـــاً حكمـــوا الأحلامـــا
أعهـــدتنا والقـــبط إلا أمـــة لـــلأرض واحـــدة تـــروم مرامـــا
نعلـــى تعـــاليم المســـيح لأجلهـــم ويـــوقرون لأجلنـــا الإســـلاما
الـــدين للـــديان جـــل جلالـــه لـــو شـــاء ربـــك وحـــد الأقـــوام
يـا قـوم بـا ن الرشـيد فقضـوا مـا جـرى وخـــذوا الحقيقـــة وانبـــذوا الأوهامـــا
هـــذه ربـــوعكم وتلـــك ربوعنـــا متقـــابلين نعـــالج الأيامـــا
هـــذه قبـــوركم وتلـــك قبورنـــا متجـــاورين جماجمـــاً وعظامـــا
فبحرمـــة المـــوتى وواجـــب حقهـــم عيشـــوا كمـــا يقضـــي الجـــوار كرامـــا

وقال من قصيدة أخرى له في هذا المعنى سنة ١٩١٠:

تعـالوا عســى نطـوي الجفـاء وعهـده وننبـــذ أســـباب الشـــقاق نواحيـــا
ألـم تـك (مصـر) مهـدنا ثـم لحـدنا وبينهمـــا كانـــت لكـــل مغانيـــا
ألـم تـك مـن قبـل (المسـيح بـن مـريم) و(موســى) و(طــه) تعبـد النيـل جاريـا
فهـــلا تســـاقينا علـــى حبـــه الهـــوى وهـــلا فـــديناه ضـــفافا ووادیـــا
ومـــا زال مـــنكم أهـــل ود ورحمـــة وفـــي المســـلمين الخيـــر مـــا زال باقيـا
فـلا يثـنكم عـن ذمـة قتـل (بطـرس) فقـدما عرفنـا القتـل فـي النـاس فاشـيا

يستحث الشباب على العلم والجد

قال مخاطباً الشباب في قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤:

يـــا شـــباب الغـــد وأبنـــاي الفـــدى ... لكـــم أكـــرم وأعـــزز بالفـــداء
هـــل يمـــد الله لـــي العـــيش عســـى ... أن أراكـــم فـــي الفريـــق الســـعداء
وأرى تـــــاجكم فـــــوق الســـــها ... ورأي عرشـــــكم فـــــوق ذكـــــاء
مـــن رآكـــم قـــال مصـــر اســـترجعت ... عزهـــا فـــي عهـــد (خوفـــو) و(منـــاء)
أمـــــة للخلـــــد مـــــا تبنـــــي إذا ... مـــا بنـــي النـــاس جميعـــاً للعفـــاء
إنمـــــا مصـــــر إلـــــيكم وبكـــــم ... وحقـــوق البـــر أولـــى بالقضـــاء
عصـــــركم حـــــر ومســـــتقبلكم ... فـــي يمـــين الله خيـــر الأمنـــاء
لا تقولـــوا حظنـــا الـــدهر فمـــا ... هـــو إلا مـــن خيـــال الشـــعراء
هـــل علمـــتم أمـــة فـــي جهلهـــا ... ظهـــرت فـــي المجـــد حســـناء الـــرداء
بـــاطن الأمـــة مـــن ظاهرهـــا ... إنمـــا الســـائل مـــن لـــون الإنـــاء
فخـــذوا العلـــم علـــى أعلامـــه ... واطلبـــوا الحكمـــة عنـــد الحكمـــاء
واقـــرأوا تـــاريخكم واحتفظـــوا ... بفصـــيح جـــاءكم مـــن فصـــحاء
أنـــزل الله علـــى ألســـنهم ... وحيـــه فـــي أعصـــر الـــوحي الوضـــاء
واحكمـــوا الـــدنيا بســـلطان فمـــا ... خلقـــت نضـــرتها للضـــعفاء
واطلبـــوا المجـــد علـــى الأرض فـــإن ... هـــي ضـــاقت فـــاطلبوه فـــي المســـاء!

يدعو إلى إنكار الذات

وقال مخاطباً الشباب في قصيدة قالها سنة ١٩٢٤.

قـــالوا أتـــنظم للشـــباب تحيـــة ... تبقـــى علـــى جيـــد الزمـــان قصـــيدا
قلـــت الشـــباب أتـــم عقـــد مـــآثر ... مـــن أن أزيـــدهمو الثنـــاء عقـــودا
قبلـــت جهـــودهم الـــبلاد وقبلـــت ... تاجـــا علـــى هامـــاتهم معقـــودا
خرجـــوا فمـــا مـــدوا خنـــاجرهم ولا ... منـــوا علـــى أوطـــانهم مجهـــودا
خفـــى الأســـاس عـــن العيـــون تواضـــعا ... مـــن بعـــد مـــا رفـــع البنـــاء مشـــيدا

حكمه وعظاته

تنساب في شعر شوقي الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه ويبصرهم بعبر التاريخ وعظات الحوادث، مما نذكر طرفاً منه.

جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلا جلال الخلود:

جـــلال الملـــك أيـــام وتمضـــي ولا يمضـــــي جـــــلال الخالـــــدينا

الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح:

مـــن ســـره أن لا يمـــوت فبـــالعلى خلـــد الرجـــال وبالفعـــل النابـــه
مـــا مـــات مـــن حـــاز الثـــرى آثـــاره واســـتولت الـــدنيا علـــى آدابـــه
قـــل للمـــدل بمـــا لـــه وبجاهـــه وبمـــا يحـــل النـــاس مـــن أنســـابه
هـــذا الأديـــم يصـــد عـــن حضـــاره وينـــام ملـــئ الجفـــن علـــى غيابـــه
إلا فتـــى يمشـــي عليـــه مجـــدداً ديباجتيـــه معمـــرا لخرابـــه

العدل أساس الملك

وقال في العدل:

والعـــدل فـــي الـــدولاب أس ثابـــت يُفنـــي الزمـــان وينقـــذ الأجيـــالا

وقال من قصيدته في رثاء مصطفى كامل:

دقـــات قلـــب المـــرء قائلـــة لـــه إن الحيـــــاة دقـــــائق وثـــــوان

ومن قوله في ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون:

فـي المـوت مـا أعيـا [1] وفـي أسـبابه كـــل امـــرئ رهـــن بطـــئ كتابـــه
إن نـــام عنـــك فـــك طـــب نـــافع أو لـــم يـــنم فالطـــب مـــن أذنابـــه

إلى أن قال منوها بفضل كارنارفون في اكتشافاته الأثرية:

أفضـــي إلـــى خـــتم الزمـــان ففضـــه وحبـــا إلـــى التـــاريخ فـــي محرابـــه
وطـــوى القـــرون القهقـــرى حتـــى أتـــى فرعـــون بـــين طعامـــه وشـــرابه

ومن قوله في العظة والاعتبار حين سقطت أدرنه وكانت من أمهات المدن الإسلامية في مقدونية وغلبها البلغاء سنة ١٩١٢:

يـــا أخـــت أنـــدلس عليـــك ســـلام هـــوت الخلافـــة عنـــك والإســـلام

إلى أن قال يندد بسياسة الترك:

رفعـوا علـى السـيف البنـاء فلـم يـدم مـــا للبنـــاء علـــى الســـيوف دوام
أبقـــى الممالـــك مـــا المعـــارف أســـه والعـــدل فيـــه حـــائط ودعـــام
إن الغـــرور إذا تملـــك أمـــة كـــالزهر يخفـــي المـــوت وهـــو زؤام

(١) ما أعياز أي ما أعجز عن إدراك حقيقته، ورهن بطي كتابه، أي باق في الحياة حتى ينتهي أجله.

لا حق للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيراً إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنها لم يكن لها من القوة ما تسترد به حقها:

أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا ... وصدوا الباب عنا موصدينا؟
ولو كنا نجر هناك سيفا ... وجدنا عندهم عطفاً ولينا
سيقضي (كرزن) بالأمر عنا ... وحاجات (الكنانة) ما قضينا

وقال في هذا المعنى:

يا طير والأمثال تضرب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها ألا تكون لأعزل

الحكم للشعوب لا للمستبدين

قال سنة ١٨٩٤ في أول قصيدة له في ديوانه ينبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم إلى النزول على حكمها:

إن ملكت النفوس فابغ رضاها ... فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأسر ... فكيف الخلائق العقلاء؟
يحسب الظالمون أن سيسودو ... ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائر مثلما جا ... روا وللدهر مثلهم أهواء

وقال سنة ١٩٢٢ يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولي ... ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض ... عل حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين:

المستبد يطاق في ناووسه ... لا تحت تاجيه وفوق وثابه [١]
والفرد يؤمن شره في قبره ... كالسيف نام الشر خلف قرابه [٢]

وقال في هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥:

قسما بمن يحيى العظا ... م ولا أزيدك من يمين
لو كان من سفر أيا ... بك أمس أو فتح مبين
لرأيت جيلا غير جيلك ... بالجبابر لايدين
ورأيت محكومين قد ... نصبوا وردوا الحاكمين [٣]
روح الزمان ونظمه ... وسبيله في الآخرين
أن الزمان وأهله ... فرغا من الفرد اللعين
فإذا رأيت مشايخا ... أو فتية لك ساجدين
لاق الزمان تجدهمو ... عن ركبه متخلفين
هم في الأواخر مولدا ... وعقولهم في الأولين

الشعب قد يُخْدَع

قال في مسرحية (مصرع كليوباترا) على لسان (حابي) يخاطب (ديون) [٤].

إسمع الشعب ديون ... كيف يوحون إليه بحياتي قاتليه
ملأ الجو هتافا ... بحياتي قاتليه
أثر البهتان فيه ... وانطلي الزور عليه
يا له من ببغاء ... عقله في أذنيه

---

(١) الناووس: القبر، والوثاب: السرير.

(٢) قراب السيف: غمده.

(٣) نصبوا وردوا: أي ولوا وعزلوا الحاكمين.

(٤) حابي وديون: من أشخاص الرواية وكلاهما من أمناء مكتبة قصر كليوباترة.

الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور:

شـــر الحكومـــة أن يســـاس بواحـــد فـــي الملـــك أقـــوام عـــداد رمالـــه

وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر):

وتفيـــأوا الدســـتور تحـــت ظلالـــه كنفـــا أهـــش مـــن الريـــاض وأنضـــرا
لا تجعلـــوه هـــوى وخلفـــاً بيـــنكم ومجـــر دنيـــا للنفـــوس وتجـــرا
اليـــوم صـــرحت الأمـــور فـــأظهرت مـــا كـــان مـــن خـــدع السياســـة مضـــمرا
قـــد كـــان وجـــه الـــرأي أن نبقـــى يـــداً ونـــرى وراء جنودهـــا إنجلتـــرا
فـــإذا أتتنـــا بالصـــفوف كثيـــرة جئنـــا بصـــف واحـــد لـــن يكســـرا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له في عيد الجهاد:

وبالدســـتور وهـــو لنـــا حيـــاة نـــرى فيـــه الســـلامة والفلاحـــا
أخـــذناه علـــى المهـــج الغـــوالي ولـــم نأخـــذه نـــيلاً مســـتماحا
بنينـــا فيـــه مـــن دمـــع رواقـــا ومـــن دم كـــل نابتـــة جناحـــا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة:

إذا سـلم الدسـتور هـان الـذي مضـى وهـان مـن الأحـداث مـا كـان آتيـا
الأكـــل ذنـــب لليـــالي لأجلـــه ســـدلنا عليـــه صـــفحنا والتناســـيا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطني يوم ١٩ فبراير من تلك السنة وائتلفت فيه الأحزاب يحيي الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف:

صرح [١] علـى الـوادي المبـارك ضـاحي متظـــاهر الأعـــلام والأوضـــاح
ضـــافي الجلالـــة كـــالعتيق مفصـــل ســـاحات فضـــل فـــي رحـــاب ســـماح
وكـــأن رفرفـــه رواق مـــن ضـــحى وكـــأن حائطـــه عمـــود صـــباح

---

(١) يريد الدستور.

الحق خلف جناح استذري [1] به ... ومراشد السلطان خلف جناح
هو هيكل الحرية القاني، له ... ما للهياكل من فدى وأضاح
يبني كما تبني الخنادق في الوغي ... تحت النبال وصوبها السحاح
ينهار الاستبداد حول عراصه ... مثل انهيار الشرك حول (صلاح) [2]
ويكب طاغوت الأمور لوجهه ... متحطم الأصنام والأشباح

* * *

هو ما بني الأعزال بالراحات أو ... هو ما بني الشهداء بالأرواح
أخذنه (مصر) بكل يوم قاتم ... ورد الكواكب أحمر الإصباح
هبت سماحاً بالحياة شبابها ... والشيب بالأرماق غير شحاح
ومشت إلى الخيل الدوارع وانبرت ... للظافر الشاكي بغير سلاح
وقفات حق لم تقفها أمة ... إلا أنثنت آمالها بنجاح
وإذا الشعوب بنوا حقيقة ملكهم ... جعلوا المآتم حائط الأفراح

إلى أن قال في توحيد الصوفف:

بشرى إلى الوادي تهز نباته ... هز الربيع مناكب الأدواح
تسري ملمحة الحجول عل الربي ... وتسيل غرتها بكل بطاح
التامت الأحزاب بعد تصدع ... وتصافت الأقلام بعد تلاح
سحبت على الأحقاد أذيال الهوى ... ومشى على الضغن الوداد الماحي
وجرت أحاديث العتاب كأنها ... سمر على الأوتاد والأقداح
ترمي بطرفك في المجامع لا ترى ... غير التعانق وشتباك الراح

---

(١) استذري: استظل.

(٢) صلاح: اسم لمكة.

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥:

احتل حصن الحق غير جنوده ... وتكالبت أيد على المفتاح
ضجت عل أبطالها ثكناته ... واستوحشت لكماتها النزاح
هجرت أرائكه وعطل عوده ... وخلا من الغادين والرواح
وعلاه نسج العنكبوت فزاده ... كالغار من شرف وسمت صلاح

وقال ينصح الشباب:

قل للبنين مقال صدق واقتصد ... ذرع الشباب يضيق بالنصاح
أنتم بنو اليوم العصيب نشأتمو ... في قصف أنواء وعصف رياح
ورأيتمو الوطن المؤلف صخرة ... في الحادثات وسيلها المجتاح
وشهدتمو صدع الصفوف وما جنى ... من أمر مفتات ونه يوقاح
صوت الشعوب من الزئير مجمعاً ... فإذا تفرق كان بعض نباح
أظمتكمو الأيام ثم سقتكمو ... رنقاً من الإحسان غير قراح
وإذا منحت الخير من متكلف ... طرهت عليه سجية المناح
تركتكمو مثل المهيض جناحه ... لا في الحبال ولا طريق سراح
من صير الأغلال زهر قلائد ... وكسا القيود محاسن الأوضاح
إن التي تبغون دون منالها ... طول اجتهاد واضطراد كفاح
سيروا إليها بالأناة طويلة ... إن الأناة سبيل كل فراح
وخذوا بناء الملك عن دستوركم ... إن الشراع مثقف الملاح

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف:

الحق أبلج والكنانة حرة ... والعز للدستور والإكبار
الأمر شورى لا يعيث مسلط ... فيه ولا يطغى به جبار
عهد من الشورى الظليلة نضرت ... صاله واخضلت الأسحار
تحبني البلاد بها ثمار جهودها ... ولكل جهد في الحياة ثمار
بنيان آباء مشوا بسلاحهم ... وبنيت لم يجدوا السلاح فثاروا
فيه من التل المدرج حائط ... ومن المشانق والسجون جدار

أبـــت التقيـــد بـــالهوى وتقيـــدت بـــالحق أو بالواجـــب الأحـــرار
فـــي مجلـــس لا مـــال مصـــر غنيمـــة فيـــه ولا ســـلطان مصـــر صـــغار
مـــا للرجـــال ســـوى المراشـــد مـــنهج فيـــه ولا غيـــر الســـلاح شـــعار
يتعـــاونون كأهـــل دار زلزلـــت حتـــى تقـــر وتطمـــئن الـــدار
يجـــرون بـــالرفق الأمـــور وفلكهـــا والـــريح دون الفلـــك والإعصـــار
ومـــع المجـــدد بالأنـــاة ســـلامة ومـــع المجـــدد بالجمـــاع عثـــار

يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال في مطلعها:

أعـــدت الراحـــة الكبـــرى لمـــن تعبـــا وفـــاز بـــالحق مـــن لـــم يالـــه طلبـــا

إلى أن قال مشيراً إلى الانتخابات البرلمانية:

دار النيابـــة قـــد صـــفت أرائكهـــا لا تجلســـوا فوقهـــا الأحجـــار والخشـــبا
اليـــوم يـــا قـــوم إذا تبنـــون مجلســـكم تبنـــون للعقـــب الأيـــام والحقبـــا

ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر):

دار النيابـــة هيئـــت درجاتهـــا فليـــرق فـــي الـــدرج الـــذوائب والـــذرا
الصـــارخون إذا أســـئ إلـــى الحمـــى والذائـــدون إذا أغيـــر علـــى الثـــرى
لا الجـــاهلون العـــاجزون ولا الألـــى يمشـــون فـــي ذهـــب القيـــود تبختـــرا

روَّاد الوطنية

قال سن ١٩٢٥ من قصيدة له في رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفاني:

ألســـت مـــن فئـــة ســـهام ... ســـنوا المحامـــاة والرمـــاء
فتـــاهم بالشـــباب ضـــحى ... مـــا أعظـــم الـــذبح والفـــداء
ومـــات أبطـــالهم جياعـــا ... فـــي غيـــر أوطـــانهم ظمـــاء
ولـــو أرادوا متـــاع دنيـــا ... لأدركـــوا الحكـــم والثـــراء
قضـــية الحـــق منـــذ قامـــت ... لـــم تـــأل أركانهـــا بنـــاء
تحـــذو علـــى مصـــطفى وتبنـــي ... جـــيلا مـــن الحـــق أقويـــاء
شـــرعتمو للشـــباب دينـــا ... كـــدينهم بينـــا ســـواء
لمـــا أتيـــتم بـــه جعلـــتم ... رأس تعاليمـــه (الجـــلاء)
جمعـــتم مصـــر ثـــم ســـرتم ... فكنـــتم الجمـــع واللـــواء
ومـــا عـــرفتم لغيـــر مصـــر ... وغيـــر أحبابهـــا ولاء
لـــم تمســـحوا للعميـــد رأســـا ... ولا نفضـــتم لـــه حـــذاء

وقال من قصيدة يرثي فيها المرحوم أمين الرافعي:

قيـل غـال فـي الـرأي قلـت هبـوه ... قـد يكـون الغلـو رأيـا أصـيلا
وقـديما بنـي الغلـو نفوسـا ... وقـديما بنـى الغلـو عقـولا
قـد فقـدنا بـه بقيـة رهـط ... أيقظـوا النيـل واديـا ونـزيلا
حركـوه وكـان بـالأمس كـالكهف ... حزونـا وكـالرقيم سـهولا
يـا أمـين الحقـوق أديـت حتـى ... لـم تخـن مصـر فـي الحقـوق فتـيلا
ولـو اسـطعت زدت مصـر مـن الحـق ... علـى نيلهـا المبـارك نـيلا
لسـت أنسـاك قابعـا بـين درجيـك ... مكبـا عليهمـا مشـغولا
قـد تواريـت فـي الخشـوع فخـالو ... ك ضـئيلا ومـا خلقـت ضـئيلا
سـائل (الشـعب) عنـك و(العلـم) ... الخفـاق أو سـائل (اللـواء) الظلـيلا
تنشـد النـاس فـي (القضـية) لحنـا ... كـالحواري رتـل الإنجـيلا
ماضـيا فـي الجهـاد لـم تتـأخر ... تـزن الصـف أو تقـيم الـرعيلا
مـا تبـالي مضـيت وحـدك تحمـي ... حـوذة الحـق أم مضـيت قبـيلا

يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب في رأس مال البنك وينوه بفضل المال في نهضة الأمم:

قل بالممالك وانظر دولة المال ... واذكر رجالا أدالوها بإجمال

إلى أن قال:

يا طالبا لمعالي الملك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبني الناس ملكهم ... لم يبن ملك على جهل وإقلال
سراة مصر عهدناكم إذا بسطت ... يد الدعاء سراعا غير بخال
تبين الصدق من بين الأمور لكم ... فامضوا إلى الماء لا تلووا على الآل
لا يذهب الدهر بين الترهات بكم ... وبين زهر من الأحلام قتال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا ... رأيا لرأي ومثالا بمثقال
هذا هو الحجر الدري بينكمو ... فابنوا بناء قريش بيتها العالي
آمال مصر إليها عالما طمحت ... هل تبخلون على مصر بآمال
فابنوا على بركات الله واغتنموا ... ما هيأ الله من حظ وإقبال

وقال في قصيدة أخرى:

الملك بالمال والرجال ... لم يبن ملك بغير مال

يحيى النهضة النسوية

كان مؤيداً ونصيراً لنهضة المرأة، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ في جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الازبكية، وجعل عنوانها في ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها المتجددات) قال:

قم حي هذي النيرات ... حي الحسان الخيرات

واخفـــــض جبينـــــك هيبـــــة ... للخـــــــــرد المتخفـــــــــرات [٢]

زيـــــن المقاصـــــر والحجـــــا ... ل وزيـــــن محـــــراب الصـــــلاة

هـــــذا مقـــــام الأمهـــــا ... ت فهـــــل قـــــدرت الأمهـــــات؟

لا تلـــــغ [١] فيـــــه ولا تقـــــل ... غيـــــر الفواصـــــل محكمـــــات

وإذا خطبـــــت فـــــلا تكـــــن ... خطبـــــا علـــــى مصـــــر الفتـــــاة

اذكـــــر لهـــــا اليابـــــان لا ... أمـــــم الهـــــوى المتهتكـــــات

مـــــاذا لقيـــــت مـــــن الحضـــــا ... رة يـــــا أخـــــي الترهـــــات

لـــم تلـــق غيـــر الـــرق مـــن ... عســـر علـــى الشـــرقي عاضـــت

***

خـــــذ بالكتـــــاب والبحديـــــ ... ـــــث ســـــيرة الســـــلف الثقـــــاة

وارجـــــع إلـــــى ســـــنن الخليـــــ ... ـــــقة وابتـــــع نظـــــم الحيـــــاة

هـــــذا رســـــول الله لـــــم ... يـــــنقص حقـــــوق المؤمنـــــات

العلـــــم كـــــان شـــــريعة ... لنســـــائه المتفقهـــــات

رضـــــن التجـــــارة واليســـــا ... ســـــة والشـــــؤون الأخريـــــات

ولقـــــد علمـــــت بناتـــــه ... لجـــــج العلـــــوم الزاخـــــرات

كانـــــت ســـــكنية [٣] تمـــــلأ الـــــ ... ـــــدنيا وتهـــــزأ بـــــالرواة

روت الحـــــديث وفســـــرت ... آي الكتـــــاب البينـــــوات

وحضـــــارة الإســـــلام تنـــــ ... ـــــطق عـــــن مكـــــان المســـــلمات

بغـــــداد دار العالمـــــا ... ت ومنـــــزل المتأدبـــــات

ودمشـــــق تحـــــت أميـــــة ... أم الجـــــواري [٤] النابغـــــات

وريـــــاض أنـــــدلس نميـــــ ... ـــــن الهاتفـــــات الشـــــاعرات

---

(١) لا تلغ: لا تقل باطلا.

(٢) الخرد: العذارى. والمتخفرات: المستحييات. والخفر هو الحياء.

(٣) سكينة: بنت الحسين رضي الله عنهما.

(٤) الفتيات.

أدع الرجـــــــال لينظـــــــروا ... كيـــــف اتحـــــاد الغانيـــــات
والنفـــــع كيـــــف أخـــــذن فـــــي ... أســـــــبابه متعاونـــــــات
لمـــــا رأيـــــن نـــــدى الرجـــــا ... ل تفـــــــاخراً أو حـــــــب ذات
ورايـــــن عنـــــدهمو الصـــــنا ... ئـــــع والفنـــــون مضـــــيعات
والبـــــــر عنـــــد الأغنيـــــا ... ء مـــــن الشـــــؤون المهمـــــلات
أقـــــبلن يبنـــــين المـــــآ ... ثـــــر للنجـــــاح مؤفقـــــات
للصـــــالحات عقائـــــل الـــــ ... ـــــوادي هـــــوي فـــــي الصـــــالحات
الله أنبـــــــتهن فـــــــي ... طاعاتـــــه خيـــــر النبـــــات
فـــــأتين أطيـــــب مـــــا أتـــــى ... زهـــــر المناقـــــب والصـــــفات
لـــــم يكـــــف أن أحســـــن حـــــ ... ـــــتي زدن حـــــض المحســـــنات
يمشـــــين فـــــي ســـــوق الثـــــوا ... ب مســـــــاومات رابحـــــــات
يلـــــبس ذلـــــك الســـــائلا ... ت ومـــــا ذكـــــرن البائســـــات
فوجـــــــوههن وماؤهـــــــا ... ســـــتر علـــــى المـــــتجملات
مصـــــر تجـــــدد مجـــــدها ... بنســـــــائها المتجـــــددات
النـــــافرات مـــــن الجمـــــو ... د كأنـــــه شـــــبح الممـــــات
هـــــل بيـــــنهن جوامـــــدا ... فـــــرق وبـــــين الموميـــــات
لمـــــا حضـــــن لنـــــا القضـــــ ... ـــــية كـــــن خيـــــر الحاضـــــنات
غـــــذينها فـــــي مهـــــدها ... بلبـــــــابهن الطـــــــاهرات
وســـــبقن فيهـــــا المعلميـــــ ... ـــــن إلـــــى الكريهـــــة معلمـــــات [1]
ينفـــــثن فـــــي الفتيـــــان مـــــن ... روح الشـــــــجاعة والثبـــــــات
يهـــــوين تقبيـــــل المهنـــــ ... ـــــد أو معانقـــــة القنـــــاة
ويـــــرين حتـــــى فـــــي الكـــــرى ... قبـــــل الرجـــــال محرمـــــات

يحيى الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في احتفال أقامته نقابة الصحفيين:

---

(١) المعلمون: بفتح اللام: الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم.

لكـــل زمـــان مضـــى آيـــة ... وآيـــة هـــذا الزمـــان الصـــحف
لســـان الـــبلاد ونـــبض العبـــاد ... وكهـــف الحقـــوق وحـــرب الجنـــف [1]
تســير مســير الضــحى فــي الــبلاد ... إذا العلـــم مـــزق فيهـــا الســـدف
وتمشـــي تعلـــم فـــي أمـــة ... كثيـــرة مـــن لا يخـــط الألـــف

***

فيا فتية الصحف صبراً إذا فإن السعادة ... نبـــا الـــرزق فيهـــا بكـــم واختلـــف
غيـــــــــــر الظهـــــــــــور ... وغيـــــر الثـــــراء وغيـــــر التـــــرف
ولكنهـــا فـــي نـــواحي الضـــمير ... إذا هـــو بـــاللؤم لـــم يكتنـــف
وروم ـــوا النبـــوغ فمـــن نالـــه ... تلقـــي مـــن الحـــظ أســـنى التحـــف
حمـــدنا بلاءكـــم فـــي النضـــال ... وأمـــس حمـــدنا بـــلاء الســـلف
ومـــن نســـي الفضـــل للســـابقين ... فمـــا عـــرف الفضـــل فيمـــا عـــرف
ألـــيس إلـــيهم صـــلاح البنـــاء ... إذا مـــا الأســـاس ســـما بـــالغرف

يندد بمن يخذل الوطنية

في سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا في حفلة تأسيس مدرسة محمد على الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطاني.

وقد أثارت هذه الخطبة سخط الرأي العام واستنكرها المواطنون، وكان شوقي صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها، قال:

كبيـــر الســـابقين مـــن الكـــرام ... برغمـــي أن أنالـــك بـــالملام
مقامـــك فـــوق مـــا زعمـــوا ولكـــن ... رأيـــت الحـــق فوقـــك والمقـــام

---

(١) الجور والظلم.

إلى أن قال:

غمـــرت القـــوم [1] إطـــراء وحمـــداً ... وهـــم غمـــروك بـــالنعم الجســـام
رأوا بـــالأمس أنفـــك فـــي الثريـــا ... فكيـــف اليـــوم أصـــبح فـــي الرغـــام
خطبـــت فكنـــت خطبـــاً لا خطيبـــاً ... أضـــيف إلـــى مصـــائبنا العظـــام
لهجـــت بـــالاحتلال ومـــا أتـــاه ... وجرحـــك منـــه لـــو أحســـت دام
وهـــل تركـــت لـــك الســـبعون عقـــلا ... لعرفـــان الحـــلال مـــن الحـــرام؟

يندد بقاضي دنشواي

كان أحمد فتحي زغلول أحد قضاة محكمة دنشواي الذين أصدرا ذلك الحكم الجائر في تلك المأساة سنة ١٩٠٦، وقد رقى بعد ذلك وكيلا لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم في فندق شبرد دعى إليها شوقي فرفض الدعوة وأرسل في ظرف مغلق هذه الأبيات الت يعبر فيها أبلغ تعبير عن تنديده بالمحتفل به وبالمحتفلين:

إذا مـــا جمعـــتم أمـــركم وهممتمـــو ... بتقـــديم شـــيء للوكيـــل ثمـــين
خـــذوا حبـــل مشـــنوق بغيـــر جريـــرة ... وســـروال مجلـــود وقيـــد ســـجين
ولا تعرضـــوا شـــعري عليـــه فحســـبه ... مـــن الشـــعر حكـــم خطـــه بيمـــين
ولا تقـــرأوه فـــي "شـــبرد" بـــل اقـــرأوا ... علـــى مـــلأ فـــي دنشـــواي حـــزين

الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقي للوطن وتعلقه به في منفاه بالأندلس، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥، وبقى في منفاه بعيداً عن الوطن

---

(١) يرد المحتلين.

نحو خمسة أعوام إلا قليلا، فازداد شعوراً بلوعة الحزن على فراقه، واستثار النفي الوطنية الكامنة في نفسه وأججت الغربة نارها، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن.

حسبك منه سينيته الأندلسية، تلك القصيدة الخالدة التي نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها سينية البحتري، قال في مطلعها:

اختلاف النهار والليل ينسي ... أذكرا لي الصبا وأيام أنسي
وسلا (مصر) هل سلا القلب عنها ... أو أسا جرحه الزمان المؤسي
كلما مرت الليالي عليه ... رق والعهد في الليالي تقسي

إلى أن قال:

يا ابنة اليم [١] ما أبوك بخيل ... ماله مولعا بمنع وحبس
أحرام على بلابله الدو ... ح حلال للطير من كل جنس؟
كل دار أحق بالأهل إلا ... في خبيث من المذاهب رجس [٢]
نفسي مرجل وقلبي شراع ... بهما في الدموع سرى وأرسي
واجعلي وجهك (الفنار) ومجرا ... ك يد (الثغر) بين (رمل) و(مكس)
وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني ... شخصه ساعة ولم يخل حسي

والقصيدة من أروع ما نظم شوقي

وله في هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها في منفاه ياعارض فيها نونية ابن زيدون.

قال:

يا نائح (الطلح) أشباه عوادينا ... نشجي لواديك أم نأسي لوادينا [٢]؟
ماذا تقص علينا غير أن يدا ... قصت جناحك جالت في حواشينا!

---

(١) يقصد السفينة.

(٢) يقصد مذهب الاستعمار الذي يضطهد وينفيهم ويمنعهم من التعبير عن آرائهم والإعراب عن آمالهم.

رمـي بنـا البـين [١] أيكـا غيـر سـامرنا أخـا الغريـب؛ وظـلا عيـر نادينـا

ثم انتقل من خطاب الطائر الحزين إلى بكاء الأندلس قال:

آهـا لنـا! نـازحي أيـكٍ بأنـدلس وإن حللنـا رفيقـاً مـن روابينـا [٣]
رمـس وقفنـا علـى رسـم الوفـاء لـه نجـيش بالـدمع والإجـلال يثنينـا

إلى أن قال في الحنين إلى مصر:

لكن (مصر) وإن أغضت على مقةٍ [٤] عـين مـن الخلـد بالكـافور تسـقينا
علـى جوانبهـا رفـت تمائمنـا وحـول حافاتهـا قامـت رواقينـا [٦]
ملاعـب مرحـت فيهـا مآربنـا وأربـع أنسـت فيهـا أمانينـا
ومطلـع لسـعود مـن أواخرنـا مـن بـر مصـر وريحـان يغادينـا
بنـا [٥] فلـم نخـل مـن روح يراوحنـا وباسـمه ذهبـت فـي اليم تلقينـا [٧]
كـأم موسـى علـى اسـم الله فكاهـة لحاضـرين وأكـواب لبادينـا
يـا سـاري البـرق يرمـي عـن جوانحنـا بعـد الهـدوء ويهمـي عـن مآقينـا
لمـا ترقـرق فـي دمـع السـماء دمـا هـاج البكـا فخضـبنا الأرض باكينـا

إلى أن قال يخاطب مواطنيه:

---

(٢) البين: البعد، والأيك: الشجر الكثير الملتف.

(١) الطلح وأدبا الأندلس، بضاحية أشبيلية، يخاطب حمام هذا الوادي ويتمثله شبيها به في لوعته وغرته، وعوادينا أي عوادي الدهر ومصائبه.

(٣) الرئيف: الخصيب.

(٤) المقة: المحبة.

(٥) بنا: أي بعدنا.

(٦) الرواقي: جمع راقية وهي ما يرقي به الصبي درءا للسحر.

(٧) شبه مصر حين اضطرت إلى نفيه بأم موسى عليه السلام حين القته في اليم صبيا وسألت الله أن يكلفه.

إلـــى الـــذين وجـــدنا ود غيـــرهم ... دنيـــا وودهمـــو الصـــافي هـــو الـــدنيا
يـــا مـــن نغـــار علـــيهم مـــن ضـــمائرنا ... ومـــن مصـــون هـــواهم فـــي تناجينـــا
نـــاب الحنـــين إلـــيكم فـــي خواطرنـــا ... فـــي النائبـــات فلـــم يأخـــذ بأيـــدينا

إلى أن قال يشيد في منفاه بعظمة مصر:

لـم تنـزل الشـمس ميزانـاً ولا صـعدت ... فـي ملكهـا الضـخم عرشـاً مثـل وادنيـا
ألـــم تؤلـــه علـــى حافاتـــه ورأت ... عليـــه آباءهـــا الغـــر الميامينـــا؟
وهـذه الأرض مـن سـهل ومـن جبـل ... قبـــل (القياصـــر) دناهـــا (فراعينـــا)
ولـم يضـع حجـراً؟ بـأن علـى حجـر ... فـــي الأرض إلا علـــى آثـــار بانينـــا
كـأن (أهـرام) مصـر حـائط نهضـت ... بـــه يـــد الـــدهر لا بنيـــان فانينـــا

إلى أن قال في تحية مصر وتشوقه إلهيا من منفاه:

أرض الأبـــوة والمـــيلاد طيبهـــا ... مـــر الصـــبا فـــي ذيـــول مـــن نصـــابينا
كـــان محجلـــة فيهـــا مواقفنـــا ... غـــرا مسلســـلة المجـــرى قوافينـــا
فـــآب مـــن كـــرة الأيـــام لاعبنـــا ... وثـــاب مـــن ســـنة الأحـــلام لاهينـــا
ولـــم نـــدع لليـــالي صـــافيا فـــدعت ... بـــأن نغـــص فقـــال الـــدهر آمينـــا
لـــو اســـتطعنا لخضـــنا الجـــو صـــاعقة ... والبـــر نـــار وغـــي والبحـــر غســـلينا [1]
سـعياً إلـى مصـر نقضـي حـق ذاكرنـا ... فيـــه إذا نســـى الـــوافي وباكينـــا

وقال يذكر والدته بحلوان وقد توفيت قبيل عودته:

كنـــز (بحلـــوان) عنـــد الله نطلبـــه ... خيـــر الودائـــع مـــن خيـــر المؤدينـــا
لـــو غـــاب كـــل عزيـــز عنـــه غيبتنـــا ... لـــم يأتـــه الشـــوق إلا مـــن نواحينـــا
إذا حملنـــا لمصـــر أولـــه شـــجنا ... لـــم نـــدر أي هـــوى الأمـــين شـــاجينا

---

(١) الغسلين: الصديد.

وقال أيضاً سنة ١٩١٧ في منفاه يهتف بمصر وساكنيها:

يا ساكني مصر إنا لا نزال على هلا ... عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا
بعثتم لنا من ماء نيلكم ... شيئاً نبل به أحشاء صادينا [1]
كل المناهل بعد النيل آسنة ... ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

وقد بعث شوقي بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ إبراهيم فأجابه حافظ بالأبيات الآتية.

عجبت للنيل يدري أن بلبله ... صاد ويسقي ربا مصر ويسقينا
تالله ما طاب للأصحاب مورده ... ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه ... وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها، وتفيض قصائده بهذا المعنى السامي.

قال في تحية مصر والنيل من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحيى بها الطائرين العثمانيين سالم وكمال حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتهما عن طريق العريش وسيناء:

يا راكب الريح حي النيل والهرما ... وعظم السفح من سيناء والحرما
وقف على أثر مر الزمان به ... فكان أثبت من أطواده قمما
واخفض جناحك في الأرض التي حملت ... موسى رضيعاً وعيسى الطهر منفطما
وأخرجت حكمة الأجيال خالدة ... وبينت للعباد السيف والقلما
هذا فضاء تلم الريح خاشعة ... به ويمشي عليه الدهر محتشما

---

(١) الصادى: الظمآن.

وقال من قصيدة له في أبي الهول:

أبـــا الهـــول طـــال عليـــك العصـــر ... وبلغـــت فـــي الأرض أقصـــى العمـــر
فيالـــدة الـــدهر [1] لا الـــدهر شـــ ... ـــب ولا أنـــت جـــاوزت حـــد الصـــغر
إلام ركوبـــــك مـــــتن الرمـــــا ... ل لطـــي الأصـــيل وجـــوب الســـحر
تســـافر منـــتقلا فـــي القـــرو ... ن فأيـــان تلقـــي غبـــار الســـفر؟
أبينـــك عهـــد وبـــين الجبـــا ... ل تـــزولان فـــي الموعـــد المنتظـــر [2]؟
أبـــا الهـــول أنـــت نـــديم الزمـــا ... ن نجـــي الأوان ســـمير العصـــر
ظليـــل الحضـــارة فـــي الأوليـــ ... ن رفيـــع البنـــاء جليـــل الأثـــر

وختمها بقوله:

تحـــرك أبـــا الهـــول هـــذا الزمـــا ... ن تحـــرك مـــا فيـــه حتـــى الحجـــر

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢:

قـــف نـــاج أهـــرام الجـــلال ونـــاد ... هـــل مـــن بناتـــك مجلـــس أو نـــاد
نشـــكو ونفـــزع فيـــه بـــين عيـــونهم ... إن الأبـــــــوة مفـــــــزع الأولاد
ونبـــثهم عبـــث الهـــوى بتـــراثهم ... مـــن كـــل ملـــق للهـــوى بقيـــاد
ونبـــين كيـــف تفـــرق الأخـــوان فـــي ... وقـــت الـــبلاد تفـــرق الأضـــداد [4]
إن المغـــالط فـــي الحقيقـــة نفســـه ... بـــاغ علـــى الـــنفس الضـــعيفة عـــاد
قـــل للأعاجيـــب الـــثلاث [3] مقالـــة ... مـــن هـــاتف بمكـــانهن وشـــاد
لله أنـــت فمـــا رأيـــت علـــى الصـــفا ... هـــذا الجـــلال ولا علـــى الأوتـــاد
لـــك كالمعابـــد روعـــة قدســـية ... وعليـــك روحانيـــة العبـــاد

---

(١) أي يا أخا الدهر وقرينه فكأنه والدهر توأمان.

(٢) يوم القيامة.

(٣) يريد الأهرام الثلاثة.

(٤) يشير إلى الانقسام الذي حدث سنة ١٩٢١ بين سعد وعدلي وأنصارهما وتصدعت بسببه الوحدة الوطنية.

أسســـت مـــن أحلامهـــم بقواعـــد ورفعـــت مـــن أخلاقهـــم بعمـــاد
قـــم قبـــل الأحجـــار والأيـــدي التـــي أخـــذت لهـــا عهـــداً مـــن الآبـــاد
وخـــذ النبـــوغ مـــن الكنانـــة إنهـــا مهـــد الشـــموس ومســـقط الآراد [1]

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون):

قـــم إلـــى الأهـــرام واخشـــع واطـــرح خيلـــة الصـــيد [3] وزهـــو الفـــاتحين
وتمهـــل إنمـــا تمشـــي إلـــى حـــرم الـــدهر ومحـــراب القـــرون
هـــو كالصـــخر عنـــد القـــبط أو كـــالحطيم الطهـــر عنـــد المســـلمين
وتســـنم منبـــراً مـــن حجـــر لـــم يكـــن قبلـــك حـــظ الخـــاطبين
وادع أجيـــالا تولـــت يســـمعوا لـــك وابعـــث فـــي الأوالـــى حاشـــرين
وأعـــدها كلمـــات أربعـــا [2] قـــد أحاطـــت بـــالقرون الأربعـــين
قـــد عرضـــت الـــدهر والجـــيش معـــاً غايـــة قصـــر عنهـــا الفـــاتحون
عظـــة قـــومي بهـــا أولـــى وإن بعـــد العهـــد فهـــل يعتبـــرون؟

قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنس الوجود) بأسوان وكيف يغمره النيل وقت الفيضان، من قصيدة يخاطب فيها الكولونك تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق، وكان قد ألقى خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقي بهذه القصيدة:

أيهـــا المنتحـــي (بأســـوان) داراً كالثريـــا تريـــد أن تنقضـــا
اخلـع النعـل واخفـض الطـرف واخشـع لا تحـاول مـن آيـة الـدهر غضـا

---

(١) الآراد جمع رأد. يريد رأد الضحى: وقت ارتفاع الشمس.

(٢) يشير إلى الكلمة التي قالها نابليون لجنوده قبيل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحثهم على القتال: "إن أربعين قرنا تنظر إليكم من فوق قمم هذا الأهرام".

(٣) الملوك.

قـف بتلـك (القصـور) فـي الـيم غرقـى ... ممسـكا بعضـها مـن الـذعر بعضـا
كعـذارى أخفـين فـي المـاء بضـا ... سـابحاتا بـه وأيـدين بضـا
مشـرفات علـى الـزوال وكانـت ... مشـرفات علـى الكواكـب نهضـا
شـاب مـن حولهـا الزمـان وشـابت ... وشـباب الفنـون مـا زال غضـا
صـنعة تـدهش العقـول وفـن ... كـان إتقانـه علـى القـوم فرضـا
يـا قصـوراً نظرتهـا وهـي تقضـي [1] ... فسـكبت الـدموع والحـق يقضـي
أنـت سـطر ومجـد مصـر كتـاب ... كيـف سـام البلـى كتابـك فضـا
وأنـا المحتفـي بتـاريخ مصـر ... مـن يصـن مجـد قومـه صـان عرضـا

وقال في يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة مصر الخالدة:

قفـي يـا أخـت (يوشـع [2]) خبرينـا ... أحاديـث القـرون الغابرينـا
فمثلـك مـن روي الأخبـار طـرا ... ومـن نسـب القبائـل أجمعينـا

على أن قال يشيد بحاضرة قدماء المصريين وكيف بلغو الشأو العظيم من المجد:

مشـت بمنـارهم فـي الأرض (رومـا) ... ومـن أنـوارهم قبسـت (أثينـا)
ملـوك الـدهر بـالوادي أقـاموا ... علـى (وادي الملـوك) محجبينـا
تعـالى الله كـان السـحر فـيهم ... أليسـوا للحجـارة منطقينـا؟
غـدوا يبنـون مـا يبقـى وراحـوا ... وراء الآبـدات مخلـدينا
إذا عمـدوا لمـأثرة أعـدوا ... لهـا الإتقـان والخلـق المتينـا
ولـيس الخلـد مرتبـة تلقـي ... وتؤخـذ مـن شـفاه الجاهلينـا
ولكـن منتهـى همـم كبـار ... إذا ذهبـت مصـادرها بقينـا
وسـر العبقريـة حسـن يسـري ... فينـتظم الصـنائع والفنونـا
وآثـار الرجـال إذا تناهـت ... إلـى التـاريخ خيـر الحاكمينـا

---

(١) تقضي: أي تفنى.

(٢) الخطاب للشمس.

وأخـــذك مـــن فـــم الـــدنيا ثنـــاء وتركـــك فـــي مســـامعها طنينـــا

وقال مخاطبا توت عنخ آمون:

ســـلام يـــوم وارتـــك المنايـــا بواديهـــا ويـــوم ظهـــرت فينـــا
خرجـت مـن القبـور خـروج عيسـى عليـــك جلالـــة فـــي العالمينـــا

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرنا ورأى الاحتلال جاثما على صدر البلاد فحزن لما رآه وآثر العودة إلى قبره؛ والقصيدة من أروع ما جادت به قريحة شوقي في الإشارة بأمجاد مصر وفي المعاني الوطنية، قال في مطلعها مخاطباً نتوت عنخ آمون:

قـم سـابق (السـاعة) واسـبق وعـدها الأرض ضـاقت عنـك فاصـدع غمـدها
وامـــلأ رماحـــا غورهـــا ونجـــدها وافـــتح أصـــول النيـــل واســـتردها
شـــلالها وعـــذبها وعـــدها [1] واصـــرف إلينـــا جزرهـــا ومـــدها

إلى أن قال:

ســـافر أربعـــين قرنـــا عـــدها حتـــى أتـــى الـــدار فـــألفى عنـــدها
انجلتـــرا وجيشـــها ولوردهـــا مســـلولة الهنـــدى تحمـــي (هنـــدها) [2]
قامـت علـى (السـودان) تبنـي سـدها وركـــزت دون (القنـــاة) بنـــدها [3]

* * *

(١) العد: الماء الجاري.

(٢) الهندي: السيف، وهندها: أي الهند.

(٣) البند: العلم.

فقـــال والحســـرة مـــا اشـــدها ... ليـت جـدار القبـر مـا تدهـدها [1]
وليـت عينـي لـم تفـارق رقـدها ... قـم نبنـي يـا (بنتئـور) [2] مادهـا

***

مصـــر الفتـــاة بلغـــت أشـــدها ... وأثبـــت الـــدم الزكـــي رشـــدها
ولعبـــت علـــى الحبـــال وحـــدها ... وجربـــت إرخاءهـــا وشـــدها

***

يـــا رب قـــو يـــدها وشـــدها ... وافـــتح لهـــا الســـبل ولا تســـدها
وقـس لكـل خطـوة مـا بعـدها ... وعـن صـغيرات الأمـور حـدها
واصـرف إلـى جـد الشـؤون جـدها ... ولا تضـع علـى الضـحايا جهـدها
واكـبح هـوي الأنفـس واكسـر حقـدها ... واجمـع علـى الأم الـرؤوم ولـدها

وادي الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ في هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزه في (وادي الملوك):

درجـت علـى (الكنـز) القـرون ... وأتـت علـى الـدن [3] النسـون
يـا ابـن الثواقـب مـن (رع) ... وابـن الزواهـر مـن (أمـون [4])
نسـب عرريـق فـي الضـحى ... بـذ القبائـل والبطـون
أرأيـت كيـف يئـوب مـن ... غمـر القضـاء المغرقـون
وتـدول آثـار القـرو ... ن علـى رحـي الـزمن نـالطحون

---

(١) تدهده: انقط.

(٢) بنتئور: شاعر مصري قديم.

(٣) الدن: باطية الخمر.

(٤) رع وآمون من آلهة مصر القديمة.

حـــب الخلـــود بنـــي لكـــم ... خلقـــاً بـــه تتفـــردون
لـــم يأخـــذ المتقـــدمو ... ن بـــه ولا المتـــأخرون
حتـــى تســـابقتم إلـــى الإحســـ ... ـــان فيمـــا تعلمـــون
لـــم تتركـــوه فـــي الجليـــ ... ـــل ولا الحقيـــر مـــن الشـــئون
هـــذا القيـــام فقـــل لنـــا الـــ ... ـــيوم الأخيـــرة متـــى يكـــون؟
البعـــث غايـــة زائـــل ... فـــإن وأنـــتم خالـــدون
الســـبق مـــن عـــاداتكم ... أتـــرى القيامـــة تســـبقون؟
أنـــتم أســـاطين الحضـــا ... رة والبنـــاة المحســـنون
المتقنـــون وإنمـــا ... يجـــزي الخلـــود المتقـــون

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل، فصور الحياة للوادي وأهله، وأبدع في وصف روعته وجماله وجلاله، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم، وهي القصيدة التي تغنيها أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالاً:

مـــن أي عهـــد فـــي القـــرى تتـــدفق ... وبـــأي كـــف مـــن المـــدائن تغـــدق
ومـــن الســـماء نزلـــت أم فجـــرت مـــن ... عليـــا الجنـــان جـــداولاً تترقـــرق
وبـــأي عـــين أم بأيـــة مزنـــة ... أم أي طوفـــان تفـــيض وتفهـــق
وبـــأي نـــول أنـــت ناســـج بـــردة ... للضـــفتين جديـــدها لا يخلـــق
تســـود ديباجـــاً إذا فارقتهـــا ... فـــإذا حضـــرت اخضوضـــر الإســـتبرق [1]
أتـــت الـــدهور عليـــك مهـــدك متـــرع ... وحياضـــك الشـــرق الشـــهية دفـــق [2]
تســـقي وتطعـــم لا إنـــاؤك ضـــائق ... بـــالواردين ولإخوانـــك ينفـــق [3]
والمـــاء تســـكبه فيســـبك عســـجداً ... والأرض تغرقهـــا فيحيـــا المغـــرق

---

(١) الديباج والاستبرق: ثوب الحرير.

(٢) الشرق: الغرقي.

(٣) ينفق يفني أو يقل.

تعيـــى متابعـــك العقـــول ويســـتوي متخـــبط فـــي عملهـــا ومحقـــق

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كان "عروس النيل" تقدم قرباناً له كل عام:

والمجـــد عنـــد الغانيـــات رغيبـــة يبغـــي كمـــا يبغـــي الجمـــال ويعشـــق
إن زوجـــوك بهـــن فهـــي عقيـــدة ومـــن العقائـــد مـــا يلـــب ويحمـــق [1]
مـــا أجمـــل الإيمـــان لـــولا ضـــلة فـــي كـــل ديـــن بالهدايـــة تلصـــق
زفـــت إلـــى ملـــك الملـــوك يحثهـــا ديـــن ويـــدفعها هـــوي وتشـــوق
ولربمـــا حســـدت عليـــك مكانهـــا تـــرب تمســـح بـــالعروس وتحـــدق [2]
مجلـــوة فـــي الفلـــك يحـــدو فلكهـــا بالشـــاطئين مزغـــرد ومصـــفق
فـــي مهرجـــان هـــزت الـــدنيا بـــه أعطافهـــا واختـــال فيـــه المشـــرق
فرعـــون تحـــت لوائـــه وبناتـــه يجـــري بهـــن علـــى الســـفين الـــزروق
حتـــى إذا بلغـــت مواكبهـــا المـــدى وجـــرى لغايتـــه القضـــاء الأســـبق
وكســـا ســـماء المهرجـــان جلالـــة ســـيف المنيـــة وهـــو صـــلت يبـــرق
وتلفتـــت فـــي الـــيم كـــل ســـفينة وانثـــال بـــالوادي الجمـــوع وحـــدقوا
ألقـــت إليـــك بنفســـها ونفيســـها وأتتـــك شـــيقة حواهـــا شـــيق
خلعـــت عليـــك حياءهـــا وحياتهـــا أأغـــز مـــن هـــذين شـــيء ينفـــق؟
وإذا تنـــاهي الحـــب واتفـــق الفـــدى فـــالروح فـــي بـــاب الضـــحية أليـــق

إلى أن قال يذكر النيل وأنه مصدر الحياة و الحضارة لمصر والوادي:

أصـــل الحاشـــرة فـــي صـــعيدك ثابـــت ونباتهـــا حســـن عليـــك مخلـــق [3]
ولـــدت، فكنـــت المهـــد ثـــم ترعـــرت فأظلهـــا منـــك الخفـــى المشـــفق

---

(١) يلب، أي يصير لبيبا.

(٢) الترب من ولد مع الإنسان. الجمع أتراب وأكثر ما تستعمل في المؤنث. يقال هذا ترب فلانة.

(٣) مخلق: متطيب.

مـــلأت ديـــارك حكمـــة مأثورهـــا ... فـــي الصـــخر والبـــردي الكـــريم منبـــق [1]
وبنـــت بيـــوت العلـــم باذخـــة الـــذرى ... يســـــعى لهـــــن مغـــــرب ومشـــــرق
واســـتحدثت دينـــاً فكـــان فضـــائلاً ... وبنـــاء أخـــلاق بطـــول ويشـــهق [2]
مهـــد الســـبيل لكـــل ديـــن بعـــده ... كالمســـك ريـــاه بـــأخرى تفتـــق
يـــدعو إلـــى بـــر ويرفـــع صـــالحاً ... ويعـــاف مـــا هـــو اللمـــروءة مخلـــق

وقال في ختامها:

يـا نيـل أنـت بطيـب مـا نعـت (الهـدى) ... وبمدحـــة (التـــوراة) أحـــرى وأخلـــق
وإليـك يهـدي الحمـد خلـق حـازهم ... كنـف علـى مـر الـدهور مرهـق [3]
وعليـك تجلـي مـن مصـونات النهـي ... خـــود عـــرائس خـــدرهن المهـــرق [4]
الـــدهر فـــي لبـــاتهن مـــنظم ... والطيـــب فـــي حبـــراتهن مرقـــرق
لـــي فيـــك مـــدح لـــيس فيـــه تكلـــف ... أمـــلاه حـــب لـــيس فيـــه تملـــق

وفي الحق أنه لم يوصف النيل في عظمته وجلاله وماضية وحاضره وخلوده بأبدع مما وصفه شوقي في هذه القصيدة.

---

(١) منبق: مصطف.

(٢) يشهق من شهق الجبل ارتفع.

(٣) المرهق: كثير غشيان الناس والأضياف.

(٤) المهرق: الصحيفة.

نشيد النيل

ووضع نشيداً جميلاً للنيل يتغنى به الشباب والمواطنون قال:

النيـــل العـــذب هـــو الكـــوثر والجنـــة شـــاطئه الأخضـــر
ريـــان الصـــفحة والمنظـــر مـــا أبهـــى الخلـــد ومـــا أنضـــر

* * *

البحـــر الفيـــاض القـــدس الســـاقي النـــاس ومـــا غرســـوا
وهـــو المنـــوال لمـــا لبســـوا والمـــنعم بـــالقطن الأنـــور

* * *

جعـــل الإنســـان لـــه شـــرعا لـــم يخـــل الـــوادي مـــن مرعـــى
فتـــرى زرعـــاً يتلـــو زرعـــاً وهنـــا يجنـــي وهنـــا يبـــذر

* * *

جـــار ويـــرى لـــيس بجـــار لأنـــاة فيـــه ووقـــار
ينصـــب كتـــل منهـــار ويضـــج فتحســـبه يـــزار

* * *

حبشـــي اللـــون كجيرتـــه مـــن منبعـــه وبحيرتـــه
صـــبغ الشـــطين بســـمرته لونـــا كالمســـك وكـــالعنبر

النشيد الوطني

وفي سنة ١٩٢٠ وضع نشيداً وطيناً أقرته اللجنة التي ألفت في هذا العام لترقية الأغاني الوطنية قال:

بنـــي مصـــر مكـــانكمو تهيـــا فهيـــا مهـــدوا للملـــك هيـــا
خـــذوا شـــمس النهـــار لـــه حليـــاً ألـــم تـــك تـــاج أولكـــم مليـــا

* * *

علـى الأخـلاق خطـوا الملـك وابنـوا فلـــيس وراءهـــا للعـــز ركـــن
الـــيس لكـــم بـــوادي النيـــل عـــدن وكوثرهـــا الـــذي يجـــري شـــهيا

* * *

لنـــا وطـــن بأنفســـنا نقيـــه وبالـــدنيا العريضـــة نفتديـــه
إذا مـــا ســـيلت الأرواح فيـــه بـــذلناها كـــأن لـــم نعـــط شـــيا

* * *

لنـــا الهـــرم الـــذي صـــحب الزمانـــا ومـــن حدثانـــه أخـــذ الأمانـــا
ونحـــن بنـــو الســـنا العـــالى نمانـــا أوائـــل علمـــوا الأمـــم الرقيـــا

* * *

تطـــاول عهـــدهم عـــزاً وفخـــرا فلمـــا آل للتـــاريخ ذخـــرا
نشـــأنا نشـــأة فـــي المجـــد أخـــرى جعلنـــا الحـــق مظهرهـــا العليـــا

* * *

جعلنـــا مصـــر ملـــة ذي الجـــلال وألفنـــا الصـــليب مـــع الهـــلال
وأقبلنـــا كصـــف مـــن عـــوال يشـــد الســـمهري الســـمهريا

* * *

تقـــوم علـــى البنايـــة محســـنينا ونعهـــد بالتمـــام إلـــى بنينـــا
نمـــوت فـــداك مصـــر كمـــا حيينـــا ويبقـــى وجهـــك المفـــدي حيـــا

نشيد الكشافة

نحـــن الكشـــافة فـــي الـــوادي جبريـــل الـــروح لنـــا حـــادي
يـــا رب بعيســـى والهـــادي وبموســـى خـــذ بيـــد الـــوطن

* * *

كشـــافة مصـــر وصـــبيتها ومنـــاة الـــدار ومنيتهـــا
وجمـــال الأرض وحليتهـــا وطلائـــع أفـــارح المـــدن

* * *

نبتـــدر الخيـــر ونســـتبق مـــا يرضـــي الخـــالق والخلـــق
بـــالنفس وخالقهـــا نثـــق ونزيـــد وثوقـــا فـــي المحـــن

* * *

فـــي الســـهل نـــرف رياحينـــا ونجـــوب الصـــخر شـــياطينا
نبنـــي الأبـــدان وتبنينـــا والهمـــة فـــي الجســـم المـــرن

* * *

ونخلـــي الخلـــق ومـــا اعتقـــدوا ولوجـــه الخلـــق نجتهـــد
نأســـو الجرحـــى أنـــي وجـــدوا ونـــداوي مـــن جـــرح الـــزمن

* * *

فـــي الصـــدق نشـــأنا والكـــرم والعفـــة عـــن مـــس الحـــرم
ورعايـــة طفـــل أو هـــرم والـــذود عـــن الغيـــد الحصـــن

***

ونـــوافي الصـــارخ فـــي اللجـــج والنـــار الســـاطعة الـــوهج
لا نســـأله ثمـــن المهـــج وكفـــى بالواجـــب مـــن ثمـــن

***

رب فكثرنـــا عـــددا وابـــذل لأبوتنـــا المـــددا
هيـــئ لهـــم ولنـــا رشـــدا يـــا رب وخـــذ بيـــد الـــوطن

نشيد الشباب

اليـــوم نســـود بأيـــدينا ونعيـــد محاســـن ماضـــينا
ونشـــيد العـــز بأيـــدينا وطـــن نفديـــه ويفـــدينا

***

وطـــن بـــالحق نؤيـــده وبعـــين الله نشـــيده
ونحســـنه ونزينـــه بمآثرنـــا ومســـاعينا

***

ســـر التـــاريخ وعنصـــره وســـرير الـــدهر ومنبـــره
وجنـــان الخلـــد وكـــوثره وكفـــى الآبـــاء رياحنيـــا

***

نتخـــــذ الشـــــمس لـــــه تاجـــــا وضـــــحاها عرشـــــا وهاجـــــا
وســـــماء الســـــؤدد أبراجـــــا وكـــــذلك كـــــان أولينـــــا

***

العصـــــر يـــــراكم والأمـــــم والكرنـــــك يلحـــــظ والهـــــرم
ابنـــــي الأوطـــــان ألا همـــــم كبنـــــاء الأول يبنينـــــا

***

ســـــعيا أبـــــداً ســـــعيا أبـــــداً لأثيـــــل المجـــــد وللعليـــــا
ولنجعـــــل مصـــــر هـــــي الـــــدنيا ولنجعـــــل مصـــــر هـــــي الـــــدنيا

وظل شوقي يتغنى بالوطنية ويغرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعا ألحان الحرية ويسمعهم أسمي معاني الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢، وظل شعره بعد وفاته وسيظل على الدوام رمزاً للحكمة والحرية والخلود.